14 me Année No. 680

Lundi—15—7—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٨٠ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٦ شعبان سنة ١٣٦٥ — ١٥ يوليو سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

من الفصول المزيدة على كتابنا (فى أصول الأدب):

النقد عنـــد العرب

وأسباب ضعفهم فيه

ذكرنا فى ختام المقالة الأولى أن حظ العرب من تاريخ الأدب قد ضؤل لأنه فرع من التاريخ العام؛ وفن التاريخ العام بمعناه الصحيح لم يكن فى طوقهم لعجزهم عن وسائله وجهلهم بعلومه. ثم أفضنا فى المقالة الثانية فى بسط العوامل المؤثرة فى الأدب لنوضح العلاقة الوثيقة بين التاريخ السياسى والتاريخ الأدبى

وفى هذه المقالة نذكر نقصاً آخر فى الوسائل الضرورية لمؤرخ الأدب وهو ضعف أدبائنا القدامى فى النقد واعتسافهم طرائق الحكم فيه. والنقد كما علمت داخل فى تعريف تاريخ الأدب بمعناه الأخص[1]؛ فالعجز عنه أو الضعف فيه يستلزم حتما ذلك النقص الذى نراه واضحاً فى أكثر ما صدر عن أسلافنا من تعليل أو موازنة أو حكم. فإن من يطلع على ما أثر عن السلف من الموازنة والنقد يجد الخطأ فى الأقيسة، والخلل فى الموازين، وذلك لتحكم الذوق الخاص، واستبداد الهوى المطلق، وإرسال الناقد الحكم على غير قاعدة مرسومة ولا مذهب معين. وربما اكتفوا فى تقديم شاعر أو تفضيل بيت بالعبارة العامة، أو الإشارة المبهمة، أو الهتاف الموجز كقولهم: ولله دره إذ يقول ... وهذا مما لم يسبق إليه أحد ... وما أحسن هذا البيت! ...

هذا أبو منصور الثعالبى قد أفرد فى كتابيه: الإيجاز والإعجاز، وخاص الخاص، باباً مسرف الطول لوسائط قلائد للشعراء، رتبهم فيه ترتيباً زمنياً من عصر الجاهلية إلى عصره، ثم حكم على كل شاعر بجملة من جزاف القول لا تعليل فيها ولا فائدة منها، كقوله: يقال إنه أمير الشعراء، وأمير شعره قوله: ... ، ومن جوامع كلمه قوله ... وأمير شعره وغرة كلامه قوله ... وليس للعرب مطلع قصيدة فى مرثية أوجز لفظاً وأحسن معنى من قوله ... وأمدح بيت قالته العرب فى الجاهلية قوله . . ومن لطائف كلامه وطرائفه قوله ... فلما أراد الإسهاب والاستيعاب فى كتابه: (يتيمة الدهر فى محاسن أهل العصر) عُنى باللفظ المختار والسجع الرائق والاختيار الحسن؛ ولكنه لم يعن بالخطوط التى تميز كلاماً من كلام، ولا بالحدود التى تفرق بين شاعر وشاعر. فلو نقلت ما قاله من المدح فى شاعر إلى شاعر آخر لما تغير المعنى ولا اضطرب السياق. والأمر كذلك فى كل ما أُلف من الكتب على طراز اليتيمة كدمية القصر للباخرزى، وخريدة القصر لعماد الدين الأصفهانى، وريحانة الألباء لشهاب الدين الخفاجى، وسلافة العصر فى محاسن أعيان العصر، لابن معصوم المحبى

كذلك فعل الأدباء اللغويون كالأصمعى فى كتابه « فحول

(١) راجع ص ١٣ من الطبعة الثانية من كتابنا « فى أصول الأدب » التى سيظهر قريباً.

الشعراء » ، فقد توخى فيه تمييز فحول الشعراء من غيرهم بأحكام لا أسباب لها ، وأقوال لا غناء فيها ؛ ومثله سائر اللغويون والرواة الذين سجل الأصفهانى آراءهم فى أغانيه ، فإنها لم تعْدُ أن تكون آراء شخصية لا تقوم على دليل ناهض ، ولا تعتمد على قاعدة عامة . وسواء أكان النقاد من الأدباء أم كانوا من اللغويين فإن أحكامهم كانت تصدر على الشاعر فى جملته ، أو على بيت أو بيتين أو ثلاثة من قصيدته ...

ولم نعثر على مثال من النقد البيانى لقطعة كبيرة من الشعر إلا فى كتاب إعجاز القرآن لأبى بكر الباقلانى ، حين حاول أن يبين ما جاء من العوار فى نصف معلقة امرئ القيس ، على أنه لم يستطع الإنصاف ولم يبرأ من الهوى .

ولقد أكثر البيانيون من سرد الأبيات المفردة مستشهدين بها على قواعد المعانى والبيان والبديع ، ولكن أحداً منهم لم يوفق إلى عقد باب للنقد البيانى يضع فيه قواعده ويرسم حدوده ويبين غايته .

نعم ، ألف قدامة بن جعفر كتاباً سماه (نقد الشعر) يقول فى أوله : « العلم بالشعر ينقسم أقساماً ، فقسم ينسب إلى علم عروضه ووزنه ، وقسم ينسب إلى علم قوافيه ومقاطعه ، وقسم ينسب إلى علم غريبه ولغته ، وقسم ينسب إلى علم معانيه والمقصد به ، وقسم ينسب إلى علم جيده ورديئه ، وقد عُني الناس بوضع الكتب فى القسم الأول وما يليه إلى الرابع عناية تامة ، فاستقصوا أمر العروض والوزن ، وأمر القوافى والمقاطع ، وأمر الغريب والنحو ، وتكلموا فى المعانى الدال عليها الشعر ، وما الذى يريد بها الشاعر ، ولم أجد أحداً وضع فى نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتاباً ، وكان الكلام عندى فى هذا القسم أولى بالشعر من سائر الأقسام » ولكن المؤلف لم يخرج عن السنن المألوف فى ذكر ما يحسن أو يقبح فى الأبيات المفردة أو المقطوعات القصيرة ، على منهج لا يختلف عن مناهج المتأخرين من أصحاب البيان والبديع

والحال فى الموازنة كالحال فى النقد سواء بسواء . تنازع علماء الأدب فى أى الشعراء أشعر ، وذهب الخلف بينهم كل مذهب ، فلم يتفق ناقدان على رأى ، ولم يجتمع رأيان على شاعر ، وكان مدار المفاضلة على الأبيات المفردة من الشعر والصفات العامة للشاعر . فأبو زيد محمد بن الخطاب القرشى أضاع ثمانى عشرة صفحة من كتابه جمهرة أشعار العرب فى أن من علماء اللغة فى القرنين الثانى والثالث من كان يقدم امرأ القيس أو زهيراً أو النابغة أو الأعشى أو لبيداً أو عمرو بن كلثوم أو طرفة ، ولكنك إذا نظرت فى أسباب المفاضلة لم تجد فيها ما يقنعك على أن تتابع واحداً منهم فيما يرى . وإذا قرأت (باب المشاهير من الشعراء) فى كتاب العمدة لابن رشيق القيروانى ، وهو فصل نسخ أكثره جلال الدين السيوطى فى كتابه (المزهر فى علوم اللغة) لم يزدك اختلاف العلماء فى الحكم على الشعراء إلا ريبة وحيرة . ولقد تشعبت الآراء ، وتعارضت الأهواء فى الموازنة بين جرير والفرزدق والأخطل ، ثم بين مسلم بن الوليد وأبى نواس وأبى العتاهية ، ثم بين أبى تمام والبحترى والمتنبى ، ولكنك لا تدرى إلى اليوم علام استقر الرأى وكيف انحسم الخلاف . ولعلك لا تجد الفرق بعيداً بين حكم يصدر جواباً عن سؤال أو عرضاً فى مقال ، وبين حكم يصدر عن روية وبحث فى كتاب قائم بذاته ، فكتاب « الموازنة بين الطائيين » لأبى القاسم الحسن بن بشير الآمدى ، يبتدئ بذكر أخطاء أبى تمام كقوله : (وقال :

ضحكات فى إثرهن العطايا ، وبروق السحاب قبل رعوده

فأقام البرق مقام الضحك ، والرعد مقام العطايا ، وإنما كان يجب أن يقوم الغيث مقام العطايا لا الرعد) . ثم يستطرد إلى تخطئة الشعراء القدامى فى المعانى ، ثم ينتقل إلى سرقات أبى تمام ويعود إلى تخطئته فى المعانى ، ثم يعقد باباً لما فى شعر أبى تمام من قبح الاستعارات ، وباباً فى سوء نظمه وتعقيد ألفاظ نسجه ، ثم باباً فيما كثر فى شعره من الزحاف واضطراب الوزن ؛ وينتقل بعد ذلك إلى البحترى فيسلك فى الكلام عنه الطريقة التى سلكها فى الكلام عن أبى تمام ؛ ثم يخلص إلى الموازنة بين الشاعرين فيقول : « وأنا أذكر بإذن الله الآن فى هذا الجزء المعانى التى يتفق فيها الطائيان فأوازن بين معنى ومعنى ، وأقول أيهما أشعر فى ذلك المعنى بعينه . فلا تطلبنى أن أتعدى هذا إلى أن أفصح لك بأيهما أشعر عندى على الإطلاق ، فإنى غير فاعل ذلك ؛ لأنك إن قلدتني لم تحصل لك الفائدة بالتقليد ، وإن طالبت بالعلل

والأسباب التي أوجبت التفضيل فقد أخبرتك فيما تقدم بما أحاط به علمي من نعت مذهبيهما وذكر مطلوبهما في سرقة معاني الناس ، وانتحالها وغلطهما في المعاني والألفاظ ، وإساءة من أساء منهما في الطباق والتجنيس والاستعارة ورداءة النظم واضطراب الوزن وغير ذلك مما أوضحته في مواضعه وبينته ، وما سيعود ذكره في الموازنة من هـذه الأنواع على ما يقوده القول وتقتضيه الحجة ، وما ستراه من محاسنهما وبدائعهما وعجيب اختراعهما ، فإني أوقع الكلام على جميع ذلك وعلى سائر أغراضهما ومعانيهما في الأشعار التي أرتبها في الأبواب ، وأنبه على الجيد وأفضله على الردئ ، وأبين الردئ وأرذله ، وأذكر من علل الجميع ماينتهى إليه التخليص وتحيطه به العناية ، ويبقى ما لم يمكن إخراجه إلى البيان ولا إظهاره إلى الاحتجاج ، وهي علة ما لا يعرف إلا بالدربة ودائم التجربة وطول الملابسة . وبهذا يفضل أهل الحذاقة بكل علم وصناعة مَن سواهم ممن نقصت قريحته وقلت دربته بعد أن يكون هناك طبع فيه تقبّل لتلك الطباع وامتزاج ، وإلا لا يتم ذلك ، وأكلك بعد ذلك إلى اختيارك ، وما تقضي عليه فطنتك وتمييزك »

(للكلام بقية) أحمد حسن الزيات

من التاريخ الإسلامي :

قضية سمرقنـــــد (*)

للأستاذ علي الطنطاوي

كانت ليـلة ميّتة لا يتردد في صدرها نَفس من نسيم ، ولا تبدو فيها حركة حياة ، عمياء لا تبصر فيها عين من نجم يسطع في السماء ، أو مصباح يَزْهر على الأرض ، وقد آوى كل حيّ في (سَمَرْقَنْد) إلى مضجعه ، ونامت المدينة تحت أثقال من الصمت والظلام ، ولم يبق متيقظاً فيها إلا هـذا الرجل الذي خرج من داره ، يخوض لُجّة الليل ماراً إلى غايته ، ولا يقف ولا يلتفت حتى بلغ قصر الأمارة فألقى عليه نظرة ، لو كانت نظرة تحرق لأحرقه الشرر المتطاير منها ، ثم أوسع الخطو ، وأسرع كأنه يريد أن يجنب نفسه مرأى هذا القصر ، وأن يسابق الزمن إلى هدفه الذي يرمي إليه …

وفارق المدينة واحتواه الغاب ، وطنّت في أذنيه أصوات هوامّه وحشراته ، وكان الغاب موحشاً غارقاً في ظلمتين ، ظلمته وظلمة الليل … ولكن الرجل لم ينتبه إلى وحشته وظلامه ، وقد كان له من ضخامة المطلب الذي يسعى إليه ، وعظم الخطر الذي يقدم عليه ، شاغل عن التفكير في ثقل هذه الليلة ، وانفراده في الغاب ، والخوف من أن تنشقّ هذه الظلمة المتراكبة حوله عما يؤذي ويروع … حتى إذا بلغ الصخرة التي تقوم عند باب المعبد وقف وأحجم ، وخالطته هيبة شديدة ، ووَقَرَ على صدره شيء لم يجد مثله في الغاب الموحش ، ولم يكن غلاماً تفزعه الأشباح ، ولا كان الجبان الرعديد ، ولكن ما وضعوه في نفسه وهو صغير من أسرار المعبد وعجائبه ، جعله يشب ويكتهل ولا يزال أمامه مثل الطفل الصغير وكان فارس البلد غير مدافع ، وبطل المارك المكفهرة ، ولكن المعبد غير الميدان ، ولئن واجه في الميدان رجالا مثله ، ففي المعبد قوى لا يراها ، وخفايا لا تصنع معها شجاعته شيئاً … ولم يدخله قط ، إنما يدخل المعبد هؤلاء النفر من الشيوخ الذين مارسوا من أنواع العبادة والرياضات ما جعلهم أهلا لدخوله ، ثم لا يخرجون منه أبداً ، ولا يجوز لهم أن يعودوا فيروا نور الشمس ولا زهر الروض ، وكان يشعر بأن لهؤلاء الكهنة مهابة في قلبه ومحبة ، ويحسّ بالخوف منهم وهو الذي يواجه الأبطال الصناديد ، ويقدم على الموت الأكيد غير خائف ولا وَجِل . وطال وقوفه عند الصخرة وهو يتهيب أن يقرعها بيده على نحو ما أمروه أن يفعل إذا هو وصل … وجعل يحدق في الظلام فرأى كأن شخصاً عظيم الهامة ، له لحية بيضاء عريضة قد نَبَع من الأرض ، ففزع وارتاع ، ولكنه سمع صوتاً إنسانياً يناديه باسمه ويدعوه إلى أن يتبعه ، فعلم أنه الحارس الموكل بباب المعبد ، فلحق به وقلبه يخفق تطلعاً إلى ما وراءه من خفايا وأسرار ، فاجتاز به سرداباً طويلا ملتوياً تضيئه مصابيح نحاسية منقوشة ، يخرج منها لهيب أزرق يتراقص فيلقي على الجدران

(*) النص التاريخي لهذه القصة في ستة أسطر من الصفحة (٤١١) من فتوح البلدان للبلاذري طبعة مصر ١٩٣٢ .

الصخرية ظلالا عجيبة ، وفي السرداب تماثيل (آلهة) ذات صور بشعة مرعبة ، يومض من عينيها ضوء أحمر فيكون لها منظر يخلع قلوب الجبابرة ... وفي السرداب شقوق يدخل منها الهواء فيصفر صفيراً مخيفاً كأنه صوت سرب من البوم ... ثم دخل به غرفاً منقورة في الصخر حتى انتهى به إلى قاعة الكهنة الذين لا يراهم أحد لأنهم لا يخرجون من المعبد ، وقلّ أن يدخلوا أحداً عليهم ، والذين كانوا هم حكام البلد وملوكه وأصحاب الكلمة فيه ، لا يجرؤ على مخالفة أمرهم أحد إلا حقّت عليه لعنة (آلهة ...) المعبد ، ذات الوجه البشع المرعب ...

* * *

لم يستطع الرجل من دهشته أن يدير نظره فيما حوله ، أو أن يملأ عينيه من الكهنة ومن كان معهم ، وسمع كلاما ينصب في أذنيه بصوت خافت رهيب كأنما هو يسمعه حالماً ... وفهم أن المتكلم يذكر ماضي سمرقند وسالف مجدها ، وكيف هبط عليها هؤلاء المسلمون هبوط البلاء ، فأزاحوا عرشها ، وحطموا جيشها ، وحكموا وملكوا أمرها ، ثم أفاض في الكلام على الخطة التي اختطها لإفساد أخلاقهم ودينهم ، وإضعافهم وإلقاء الخلف بينهم ، وكانت خطة شيطانية ارتجف لسماعها ، ثم عاد المتكلم فقال :

— غير أنا رأينا أن نرجئ خطتنا ، ونرمي آخر سهم في جعبتنا ، وذلك أنا سمعنا أن لهؤلاء القوم ملكاً عادلا يقيم في دمشق ، فأزمعنا أن نرسل إليه رسولا يرفع إليه شكايتنا ، ويشرح له مظلمتنا ، ثم نرى ما هو فاعل ، وقد اخترناك لمعرفتك العربية وجراءة جنانك لتكون أنت الرسول ؛ فهل أنت راض ؟ قال : نعم . قال : امض بتوفيق الآلهة ... !

* * *

وخرج وما تسعه من فرط الزهو الأرضُ ، وأحس من الخفة والنشاط أنه سيطير ، ورأى ظلامَ الليل أبيضَ مضيئاً ، ولقد اعتدّها نعمة كبرى أن دخل المعبد وكلم الكهنة ، وكان موضع ثقتهم ونجواهم ، وأن أولوه شرف القيام بأضخم مهمة عهدوا بها إلى أحد ، وشعر أن حرية قطر سمرقند وشرفه في يمينه ، وأنه هو المحامي عنه والمنافح دونه ، وكان لفرط شجاعته يتمنى لو كلفوه حرب المسلمين وإخراجهم من بلده ، ولم يكن يعرف مبلغ قوتهم ، وجلال ملكهم ، وأن هذا القطر كله في جنب دولتهم كالساقية التي جاءت تغالب البحر ... ولو مدّ البحر وأزبد وهاج لا قتلع الساقية من منبعها فشربها فضاعت فيه فلم يبق لها أثر ، فلما شد رحاله وسافر ومضى يقطع الليالي الطوال ، والأسابيع والشهور ، وهو لا يفتأ يمشي في ظلال الراية الاسلامية المظفرة ، لم يلق عصا التسيار ولم يبلغ العاصمة ... من سمرقند إلى بخارى إلى بَلْخ إلى هرات إلى قزوين إلى الموصل إلى حلب إلى دمشق ... دنيا من الخصب والحضارة والمجد ، وبلاد كانت ممالك كثيرة ما مملكة منها إلا وهي أعظم وأضخم من سمرقند ...

وما سمرقند في جانب ملك كسرى وخاقان ؟ فأين ملك خاقان وكسرى ! لقد ابتلعته المدينة المتوارية بين الحرّتين وراء رمال الجزيرة ، تلك القرية التي هزّها محمد بيمينه ، فولدت الأبطال الذين انتشروا في آفاق الأرض وملكوها ... وأنبتت رمالها جنات الشام والعراق وفارس وخراسان ... وهذه البلاد الخصبة المرعة التي ليس لها آخر ... وكان كلما تقدم ورأى جديداً من دنيا الاسلام تعلو نفسه فرقاً من لقاء الخليفة ...

وأفاق يوماً من ذهوله ، بعد ما صرم في هذه الرحلة أشهراً ، على صوت الدليل ، وهو يهتف باسم (دمشق) .

هذه دمشق سرة الأرض ؛ هذه سدة الدنيا ، هنا التقى والعلى والمجد والغنى والجلال والجمال ... من هنا تخرج الكلمة التي تمضي مطاعة حتى تنتهي إلى بلده سمرقند ، وتمضي من هناك حتى تبلغ أرضاً أبعد وأنأى ، حتى تجوز أسبانيا ، هنا يقيم الرجل الذي ملك ما لم يملكه في سالف الدهر قيصر ولا كسرى ولا الاسكندر ولا خاقان ... والذي لا يجد من جبال الصين إلى بحر الظلمات من يخالف عن أمره ، أو يردّ قوله ...

ولكن كيف الوصول إليه ؟ وأنّى لغريب منكر مثله بالدخول عليه ؟ وخالط قلبه اليأس ... فسأل عن خان ينزل فيه فأرشد إلى خان أمضى فيه ليلته ، فلما أصبح أخرج ثيابه فلبس أحسنها ، وخرج ليلقى الخليفة ... وأقبل على أول إنسان لقيه يريد أن يسأله عن (القصر) ، فاعترته هيبة شديدة ، وخاف من مواجهة الرجل الذي يحكم نصف الأرض ، والذي لا يبلغ ملك

شاهنشاه العظيم ولاية واحدة من ولاياته ، يحكمها أمير من أمرائه ... وذكر كيف كانت تتصدع الأفئدة خوفاً من لقاء كسرى ، وتقف الملوك على بابه ، وكيف كان يقتل على الظِّنَّة ، ويأمر بضرب عنق الرجل يقول كلمة لا تعجبه ، أو يأتيه في ساعة يكون فيها لَقِسَ النفس ضيق الصدر ، وتلمَّس عنقه وتخيَّله من الفزع مضروباً ، وتصور رأسه طائراً عن جسده ، فطارت معه حماسته وشجاعته ... وكره لقاء الخليفة ، وفكر في العودة إلى بلده سالماً قبل أن يحيق به مصاب لا ينفعه معه مجد يناله ، ولا وطن يحرره ، ولا كاهن يرضيه ... وغرق في مخاوفه وأفكاره ، وجعل يسير على غير هدى ، وكلما مرَّ على قصر من قصور دمشق ، ورأى بهاءه وعظمته ظنه قصر الخليفة ، نخفق قلبه واضطرب ... حتى رأى قصراً ما له في جلاله نظير ، له باب هائل ، عرضه مثل الشارع العظيم ، له قوس مشمخرة عالية ، ذات مقرنصات ونقوش ، قائمة على اسطوانتين من المرمر الصافي ، ورأى الناس يدخلون ويخرجون لا يسأل أحد أحداً ، ولا يمنعه حاجب ولا بواب ، فأيقن أنه قصر الخليفة ، وتشجع وشدَّ من عزمه ودخل يقدم رجلا ويؤخر أخرى ... فلما لم ير أحداً قد منعه سكنت نفسه ، ونظر فإذا هو في صحن واسع ، إذا كنت في طرفه لا تستطيع أن تتبيّن من هو في الطرف الآخر ، قد فرشت أرضه بناصع الرخام فهو يلمع كالمرايا ، والناس يجلسون عليه ، وحوله جدران عالية ، ما رأى قط بناء أرفع منها ، وهي مزخرفة بأعجب الزخارف والنقوش ، وفي وسط الصحن بركة واسعة يتفجر منها الماء ، فيضربه شعاع الشمس فيكون له منظر عجيب ... ونفذ من الصحن إلى قاعة لا تقل عنه سعة ، ولا يدانيها بهاء وجمالا ، قد قام سقفها على أساطين الرخام ، تحمل أقواساً فوقها أعمدة أصغر منها ، فوقها أحناء وطاقات معقودة ، تتدلى من السقف سلاسل الذهب والفضة تحمل المصابيح والثريات ، وجعل يمشي خلال الناس ذاهلا ، لا يدرى ماذا يصنع فاصطدم برجل كان يقوم ويقعد ويذكر اسم الله ... وتلفت الرجل إلى اليمين وإلى الشمال ، ونظر إليه فرآه غريباً ، فسأله عن حاله ، فسبق لسانه إلى الحقيقة فأخبره أنه جاء من بلده يريد لقاء الخليفة ، ثم تنبه وقدر أن الرجل سيرتاع لذكر الخليفة بلا تعظيم ولا تبجيل ، وأنه سيدفعه إلى الشرطي فيستاقه إلى السجن ... فرأى الرجل ساكنا هادئا كأنه لم يسمع نكراً ، وسمعه يقول له :

— أتحب أن أدلك على داره ؟

— قال : أوليست هذه داره ؟

— قال الرجل مبتسما: لا هذا بيت الله ، هذا المسجد، أصليت؟

صلى ؟ وكيف يصلي وهو على دين سمرقند ، ذلك الدين الذي لا يعرف منه إلا هذا المعبد المملوء بالأسرار ، وتلك الآلهة المخيفة ذات الوجه البشع المرعب ... وجعل يفكر : أين هذا المعبد من معبده المختبيء في بطن الصخر ، وأين هذا النور وهذا الجمال ، من تلك الظلمة وذلك القبح ؟ وشكَّ لأول مرة في عمره في دينه الذي نشأ عليه !

وأعاد الرجل سؤاله . فقال له : لا لم أصلِّ ، ولا أعرف ما الصلاة ...

— قال : وما دينك ؟

— قال : أنا على دين كهنة سمرقند ؟

— قال : وما دينهم ؟

— قال : لا أدري !

— قال : من ربك ؟

— قال : آلهة المعبد المرعبة ...

— قال الرجل : وهل تعطيك إن سألتها ؟ وهل تشفيك إن مرضت ؟

— قال لا أدري ...

ورآه الرجل ضالا جاهلا ، فألقى في هذا القلب الخالي أصول الدين الحق بوضوحها واختصارها وجمالها ، فلم تكن إلا ساعة حتى صار رسول كهنة سمرقند مؤمنا بالله ورسوله محمد الذي جعل الله به العرب سادة الدنيا ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ...

ثم قال الرجل قم الآن أدلك على دار الخليفة ، وإن كانت هذه هي الساعة التي يعالج شأنه فيها وشأن عياله ، وينفرد بنفسه .

وتبعه وهو يفكر في جمال هذا الدين وسموه ، وقد زالت الغشاوة عن عينيه فأدرك الآن سرَّ هذه الفتوح وهذه القوة التي لم يقم لها شيء . أين هذه الديانة السافرة الواضحة التي تجعل كل

تونس المجـــــاهدة . . .

أليس لها من نصير ؟

للأستاذ حسن أحمد الخطيب

يا له من ظلم عبقريّ ، وجور ليس له مَنهى [(١)] ، ذلك الذى تصبه فرنسا ورجالها المستعمرون فى القطر العربى تونس من سوط العذاب ، لا تعرف فى ذلك عدلا ، ولا ترعى عهداً ، ولا يصدفها [(٢)] عن البغى حق إنسانى ، ولا كرامة أدبية ، ولا حرمات واجبة الرعاية ، حتى صار أحب الأشياء إلى القاسطين من رجالها ، وذوى الغشمرية من ممثليها فى تلك البلاد أن ينكلوا بأبنائها ويسوموهم الخسف ، ويذيقوهم ضروب العذاب وألوان النكال !

هل أتاك حديث هؤلاء الفرنسيين وما اكتسبوا من سيئات ؟ وهل قرع سامعتيك — فى هذا الوقت الذى يتشدق فيه الدعاة بمبادئ الديمقراطية والحرية — نبأ تلك الفظائع والقوارع التى يشيب من هولها الولدان ، وتقشعر من سماعها الأبدان ، إذ اندلعت نيران الثورة بإقليم الساحل من القطر التونسى ، لما شعروا به من فداحة الظلم وثقل الجور واهتضام الحقوق ، فاندفعت الجنود والكتائب الفرنسية نحو القرى الآمنة ، واقتحمت الدور الوادعة ، وأهلها عزل من كل سلاح إلا سلاح الحق والإيمان ، فاعتقلوا الرجال ، وأخذوا الرهائن ، وانتهبوا البيوت ، ودكوها بمعاول الهدم والتخريب !

ولم يكتف هؤلاء الجنود ومن يأتمرون بأمرهم من الرؤساء بهذا العدوان الآثم ، وهذه الجرائم التى لا يقرها عرف ولا قانون ، فطوّعت لهم أنفسهم إحياء ما كمن فيها من غرائز دونها غرائز الحيوان الذى حرم نعمة النطق والتفكير والتربية والتهذيب ، فاستباحوا الحرمات ، وهتك العلوج أعراض النساء المسلمات ، وعرضوهن عاريات ، إمعاناً فى التنكيل ، وإيغالا فى الإذلال والتعذيب [(١)] ! !

فكيف تستطيع فرنسا وقد اجترح رجالها هذه السيئات ، واقترف جنودها تلك الآثام أن تواجه الأمم المتحضرة وتجلس معها جنباً إلى جنب ، وتشترك معها فى تقرير مصاير الأمم وحرياتها ، وأن تدعى لنفسها أنها ميزان من موازين القسط ، وأنها من سدنة الحرية والإخاء والمساواة ؟ !

(١) ضهى : شبيه (٢) يصدفها : يصرفها

(١) راجع صحيفة المصرى الصادرة فى ١ — ٧ — ١٩٤٦

واحد من أتباعها كاهناً لهـا ورجلَ دين ... من تلك الديانة المجهولة الخفية ... أين ...

وخرج من المسجد ، من باب غير الذى دخل منه ، فما راعه إلا الرجل يقول له ، مشيراً إلى باب من ألواح الخشب ، غير مصبوغة ولا منقوشة : هذه داره !

هذه ؟ ! أيمكن أن تكون دار الخليفة دون دور السوقة من رعيته ، وقد مرّ عليها فرأى فيها بهاء وجلالا ؟ ونظر إلى الرجل يحسبه يسخر منه فرآه جاداً ، فتركه وتقدم من الباب وهو شاك فيما قال الرجل ، ونظر فرأى كهلا قائماً يصلح بالطين جدار المنزل وامرأة تعجن ... فترك الباب ولحق بالرجل مغيظاً محنقاً فقال له :

— ما كان لك أن تكذب علىّ وتسخر منى ، أسألك عن دار الخليفة فترشدنى إلى دار طيان ؟

— قال : ومن الطيان ؟

— قال : صاحب الدار .

ووصف له ما رأى .

— قال الرجل : ويحك هذا والله أمير المؤمنين الذى ليس فوقه إلا الله . وهذه المرأة ، ألا تدرى من هذه المرأة ؟ هذه زوجة الخليفة عمر وبنت الخليفة عبد الملك ، وأخت الخليفتين الوليد وسليمان ، وأخت هشام ويزيد وسيكونان خليفتين ، هذه أمجد امرأة فى العرب ، ولقد كان أمير المؤمنين أرفه الناس عيشاً ، وأكثرهم طيباً ، ولكنه كان رجل فيه عرق من عمر بن الخطاب فنزع به عرقه من عمر إلى ما ترى ، فعد إليه فاقرع بابه وانفض إليه شكاتك ، ولا تخف ، فوالله ماهو بالملك المتكبر ، ولا الحاكم الجبار ، ولكنه عند الله متواضع هيّن ليّن ، فاذا رأى الحق أمضاه فلم يقف دونه شىء ، وإذا غضب لله كانت العواصف والصواعق دون غضبه قوة ونفاذاً ... فاذهب موفقاً .

(البقية فى العدد القادم) **على الطنطاوى**

ألا إنهم يخادعون الناس ، وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون ! !

هـذه الأمة التونسية كرمت محتداً وطابت أرومة : إنها عربية تجرى فى عروقها فضائل العرب ومزاياهم من الشهامة والبسالة والنجدة ، والانطباع على الشجاعة وحب الحرية والذود عنها ، ومقت الذل ، وإباء الضيم ، والحرص على الشرف والكرامة

وإنها لمسلمة قد أشربت حب الإسلام ، واستمكنت وصاياه ومبادئه من نفسها حتى سِيطَ بلحمها ودمها ، فأيقنت أن الإسلام والذلة لا يجتمعان ، وآمنت بأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين ، وعرفت أن من أجلِّ تعاليم الإسلام ووصاياه الجهاد فى سبيل الله والحق ، الذى يراد منه دفع الفتنة والبلاء ، ويراد منه دفع العدوان عن الوطن والبلاد ، ويقصد منه رد الاعتداء على الأنفس والأعراض والأموال والحق والحرية لا يقومان فى هذه الحياة إلا على أساس الجهاد المشروع والدفاع المحتوم الذى لا محيص عنه ولا مناص . فجهاد تونس وسائر الأمم التى سلبت حريتها مشروع ، ولاشك فى مشروعيته ولا امتراء ، وما أصيبت البلاد الشرقية بما أصيبت به إلا من التقصير فى أداء هذا الواجب ، والتفريط فى المحافظة على هذا السياج الذى هو السبيل الوحيد لحماية الحق وحفظه :

« إن الله يدافع عن الذين آمنوا ، إن الله لا يحب كل خوان كفور . أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد ، يذكر فيها اسم الله كثيراً ، ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز » !

أدت الأمة التونسية ، وستؤدى واجبها فى الدفاع عن حريتها وحقوقها وبلادها ، وستنهض بأعباء ذلك كله غير حافلة بالضحايا تقدمها ، والدماء الطاهرة تسفكها ، والأنفس والأموال تبذلها..!

ولـكن الأمم العربية والإسلامية عليها تبعات وواجبات لهـذه الأمة المظلومة المضطهدة ، ستسأل عنها أمام الله ، وأمام التاريخ والأجيال القادمة !

إن تونس المجاهدة العانية ، والجزائر المغلولة المصفدة ، ومراكش المغلوبة على أمرها ، لا تقل مآسيها وكوارثها عن الخطر الداهم والبلاء النازل بفلسطين . فعلى الأمم العربية والإسلامية أن ترعى قضايا أمم المغرب العربية الإسلامية كما ترعى قضية فلسطين!

وإنا لنطالب الجامعة العربية بمزيد من العناية والرعاية لتلك القضايا ، حتى تتم للجامعة وحدة أبنائها فى المشرق والمغرب ، وتتحقق عزتهم ، ويتمتعوا بحقوق السيادة والإنسانية . وستظل الجامعة العربية — فى رأينا — ناقصة البنيان غير عالية الذرا ، حتى تضم إليها تلك الأمم ، وتتكفل لها حياة العزة والكرامة ، وعيشة الرغد والسعادة . وإنى لأرفع الصوت عالياً مناشداً الأمم الإسلامية والعربية ، وحكوماتها فى اليمن والحجاز والعراق وسورية ولبنان ومصر والهند ، أن يهبوا لنصرة إخوانهم المستضعفين بشمال أفريقية ، وذلك بالاحتجاج على دولة فرنسا ، وتبليغ سفراء الدول وهيئة الأمم المتحدة صيحاتهم واستنكارهم لموقف فرنسا حيال الأمة التونسية ، كما نرجو من الجامعة العربية أن تختار من هذه الأمم المظلومة من يمثلها فى الجامعة ، حتى تبدأ نشاطها الفعلى فى الدفاع عنها ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه ، وهو ولىّ العاملين وناصر المجاهدين !

حسن أحمد الخطيب

بمناسبة حال العمال اليوم :

واجبات الإنسان ...

للزعيم الإيطالي يوسف مزيني

بقلم الأستاذ عباس عبد الوهاب

(تتمة ما نشر في العدد الماضي)

لقد كان في فرنسا في ذلك الوقت كاتب يجب ألا تنسوه أبدا . كان أكبر عقلا وأرجح فكرا من كل أولئك جميعاً . كان حينئذ خصمنا ولكنه كان يؤمن بالواجب ، واجب تضحية الحياة جميعها للصالح العام والسير وراء الحقيقة ونصرتها . درس الناس والظروف دراسة عميقة ، ولم يقبل أن يضله غرور الثناء أو يثبط اليأس عزمه . فكان إذا سار في طريق وفشل لجأ إلى سبيل آخر سعياً منه وراء تحسين حال الجماهير . ولما أرته الحوادث أنه لا يوجد غير قوة واحدة قادرة على تحقيق هذا الغرض ، أي حينما أثبت الشعب أنه في ميدان العمل أفضل وأصدق إيمانا من كل من يتظاهر بخدمة قضيته أصبح ذلك الرجل (لامينيه) Lamennais مؤلف كتاب (كلمات مؤمن)الذي قرأتموه جميعا ، أصبح رسول القضية التي تجمعنا فيها آصرة الأخوة . إنكم ترون بينه وبين الرجال الذين تحدثت عنهم الفارق بين أصحاب نظرية (الحقوق) وبين دعاة الواجب . فالأولون حينما يحصلون على حقوقهم الذاتية يغشى نفوسهم ميل زجى فيجمد بهم العزم عن متابعة الجهاد . أما الأخيرون فلا ينتهي عملهم في هذه الأرض إلا بانتهاء حياتهم .

وإذا كانت هناك شعوب يغلب عليها الاستعباد ، ولا يسلم فيها الكفاح من ألوان الظلم والإضطهاد ، ولا تكاد تتحقق فيها خطوة واحدة نحو الإصلاح إلا ببذل النفوس وإراقة الدماء ، وحيث يلزم أن تكون المساعي المبذولة في محاربة المظالم العليا محوطة بسياج من الكتمان والخفاء ، غنية عن سلوى الشهرة ونشوة الثناء أي عهد وأي حافز على المثابرة يحمل ناساً في تلك الشعوب على الثبات في سبيل التقدم بينما هم ينحدرون بالجهاد الشعبي المقدس إلى حضيض النزاع من أجل حقوقهم فحسب ؟

أرجو أن تذكروا أني أتكلم عن العموميات لا عن الشواذ التي تعرض في جميع مذاهب الفكر . فإذا فرضنا أن فترت الحماسة ، وضعفت نزعة محاربة الظلم ، هذان العاملان اللذان يحفزان الشباب بطبيعة الحال على الكفاح ، ماذا يمنع حينئذ أن يتسرب الإعياء والملل إلى نفوس أولئك الرجال ، ولم يمض عليهم في الجهاد غير بضع سنين لقوا فيها من أسباب الحبوط والقنوط ما لا مرد له في مثل هذا السبيل ؟ لماذا لا يفضلون أي لون من ألوان الدعة على حياة مضطربة يهيجها النزاع الدائم وتحيق بها الأخطار من كل جانب ، وليس ببعيد أن تنتهي يوما ما في قرارة السجون أو على حبال المشانق أو في غياهب النفي ؟ تلك هي القصة الشائعة في هذا العصر عن أغلب الإيطاليين الذين تشبعت أفئدتهم بالأفكار الفرنسية العتيقة ، وإنها لقصة مفجعة حقا . ولكن كيف يمكن تغييرها إلا بتغيير المبدأ الذي يترسمونه ويسترشدون به ؟

كيف وعلى أي اعتبار نحملهم على أن يستلهموا من الخطر والفشل حافزا يضاعف قوتهم ، وعلى ألا يقفوا بالجهاد بعد عدة سنين بل يثابروا عليه حتى الممات ؟

من ذا يقول لإنسان : ثابر على الكفاح من أجل حقوقك ، إذا كان هذا الكفاح نفسه يكلفه أضعاف ما يكلفه التنازل عنها ؟

وحتى لو كان هناك مجتمع قائم على أساس يفوق أساسنا نصفة وعدلا فمن ذا يستطيع في هذا المجتمع أن يقنع فردا آمن بنظرية الحقوق فقط بأن عليه أن يسعى لأجل الغرض العام ، ويبذل جهده في نصرة القضية الاجتماعية ؟ لنفرض أنه ثار وأنه أحس في نفسه القوة فيقول لك : مالي وللمعهد الاجتماعي؟ لا بد لي أن أنكث به لأن ميولي ومداركي تتجه بي ناحية أخرى . ولي حق مقدس مطلق في أن أفسح لها طريق الظهور والنشوء ، وأفضل أن أكون في حرب مع كل إنسان فأي جواب حينئذ تردون به عليه بينما هو يستمسك بنظريته في الحقوق ؟ وأي حق لكم لأنكم أغلبية في أن ترغموه على طاعة قوانين لا تتفق ورغباته وأمانيه الشخصية ؟ ... وأي حق لكم في معاقبته إذا ثار عليها ؟

وإذا كانت الحقوق تقسط كل فرد على السواء حتى لم يعد هناك مجال لأن يظهر فرد مستقل بنفسه عن باقي الأفراد الذين

يعيشون معه فى هيئة واحدة . وإذا كان المجتمع لا يزيد عن الفرد حقوقا ، وإن زاد عنه قوة فكيف إذن ترومون أن تقنعوا الفرد بأن يدع إرادته تفنى فى إرادة أولئك الذين هم إخوانه سواء فى الوطن أو فى الرابطة الكبرى رابطة الإنسانية ؟ أيكون ذلك عن طريق الإعدام أم عن طريق السجن ؟ إن الجماعات التى عاشت حتى الآن استخدمت هاتين الوسيلتين ، بيد أن ذلك هو سبيل الحرب ، أما نحن فنبغى السلام .

ذلك ضغط تعسفى ، أما نحن فنريد التهذيب .

نقول التهذيب ، وإنها لكلمة كبيرة تلخص نظريتنا كلها . أليست المسألة الحيوية التى تشغل عصرنا هى مسألة التربية ؟ لهذا يجب علينا ألا نقيم نظاما جديدا على أساس العنف . ذلك لأن أى نظام يقوم على هذا الأساس لا بد أن يكون نظاما جائرا حتى ولو كان أفضل من سابقه . إن علينا أن نستعين بالقوة فى هدم القوة الغاشمة التى تعترض الآن كل سعى فى الاصلاح .

وبعد ذلك نبدى ما نعتقد أنه أفضل النظم لتبث الأمة فيما تبتغيه منها . وهى حرة فى إبداء إرادتها . كما تمكن الأفراد بكل وسيلة ممكنة أن يتعهدوا ما يستقر عليه رأى الأمة ، وأن يسيروا وفاقا له فى أعمالهم . إن نظرية الحقوق تعيننا على أن نثور ونهدم الحوائل ولكنها لا تكفل وفاقا منيما دائما بين جميع العناصر التى تتكون منها الأمة . إننا لن نصل بنظرية السعادة والرفاهة كغرض أولى للحياة إلا إلى تكوين رجال أنانيين يعبدون المادة وينقلون شهوات النظام القديم إلى النظام الجديد الذى لا يلبث أن يفسد فى بضعة شهور . لذلك كان لزاما أن نتقفد مبدأ من مبادىء التربية يسمو فوق أمثال تلك النظريات ويرق بالناس إلى مثل فضلى ، ويعلمهم الجلد فى التضحية ، ويربط بينهم وبين إخوانهم دون أن يجعلهم يعتمدون على آراء رجل فرد ، أو على قوة المجموع . هذا المبدأ هو الواجب .

يجب أن نقنع الناس أنهم — وهم أبناء رب واحد — يلزمهم أن يطيعوا قانونا واحدا فى هـذه الأرض ، وأن كلا منهم يجب أن يعيش لا لنفسه بل لغيره ، كما نعلمهم ألا يكون غرض حياتهم الحصول على قدر من السعادة قل أو عظم ، بل أن يسعوا فى تحسين وترقية حالهم وحال غيرهم من الناس . كما نذكرهم أن محاربتهم للظلم والضلال فى سبيل نفع إخوانهم ليست حقا فحسب ، بل واجبا حتميا عليهم أبد الحياة . ومن الإجرام أن يتهاونوا فى نفاذ هذا الواجب .

أى إخوانى عمال إيطاليا ! افهموا ما أقول فهما صحيحا صادقا . إذا قلت إن علم الناس بحقوقهم ليس كافيا فى أن يعينهم على نفاذ أى إصلاح دائم أو يعتد به ، فلست أسألكم أن تنبذوا هذه الحقوق ، إنما أقصد أنها لا يمكن أن تتحقق إلا كنتيجة للواجبات النافذة ، وأن على الإنسان أن يبدأ بالأخيرة كى يصل إلى السابقة . وإذا قلت إن اتخاذ السعادة أو الرفاهة أو المصلحة المادية غرضا للحياة ، إنما يؤدى إلى إخراج أناس أنانيين ، فلست أعنى ألا تسموا مطلقا وراء هذه الأشياء ، بل أقرر أنه إذا جرى الناس وراء المصالح المادية فقط واعتبروها غاية لا وسيلة فإنهم يسوقون أنفسهم إلى هذه النتيجة السيئة الخطيرة : ذلك أنه لما أصبح الرومان الأقدمون فى عهد الأباطرة لا يطلبون غير العيش واللهو تدهوروا إلى أحط دركات الشعوب . ولما استناموا إلى مظالم الأباطرة الوحشية الخرقاء كان حتما عليهم بعد ذلك أن يصبحوا عبيدا أذلاء للغزاة البرابرة .

وفى فرنسا وغير فرنسا كان أعداء أى تقدم اجتماعى يجهدون فى نشر بذور الفساد ، وتضليل عقول الناس عن مناحى التغيير ، بتشجيع النزعات المادية ، فهل لنا بعد ذلك أن نمين العدو بأيدينا ! إن الإصلاح المادى ضرورى . وعلينا أن نسعى فى الحصول عليه لأنفسنا ، ولكن لا لأن الأمر الفرد المحتوم على الإنسان هو أن ينعم بالطعام والسكن ، بل لأنكم لا تستطيعون أن تشعروا بشىء من الكرامة أو أى معنى من معانى سمو النفس إذا كنتم منهمكين كما أنتم الآن فى مغالبة مستمرة للعوز والفاقة . أنتم تشتغلون عشرا أو اثنتى عشرة ساعة فى اليوم ، فكيف تستطيعون أن تجدوا وقتا تثقفون فيه أنفسكم ؟ وأكثركم لا يكاد يحصل من الرزق على ما يكفى لإعالتهم أو إعالة أسرهم ، فكيف تستطيعون إذن أن تجدوا وسيلة لتثقيف أنفسكم ؟ إن زعزعة خدمتكم وما يعتريها من فترات الانقطاع الكثيرة تتراوح بكم بين المجهدة والبطالة . فكيف تكتسبون عوائد النظام والمواظبة والمثابرة ؟ وزهادة أرزاقكم تذهب بأى أمل فى توفير ما يكفى

يوما ما لنفع أولادكم أو عونكم أنتم فى شيخوختكم ؟ فكيف يتيسر لكم أن تربوا فيكم خسائل الاقتصاد ؟ بل إن كثيرين منكم تضطرهم الفاقة إلى أن يحرموا أطفالهم — لا نقول من مهاد التربية إذ أية تربية تستطيع نساء العمال البائسات أن يقدمنها لفلذات أكبادهن — بل يحرمونهم من حنان أمهاتهم ورعايتهن ، ويرسلوهم فى سبيل بضعة دريهمات إلى المصانع حيث يكابدون أعمالا ضارة بصحتهم . فكيف نأمل وهذه هى الحال أن تزهر المحبة العائلية ويسمو قدرها ؟

وإذا كنتم محرومين من الحقوق المدنية ومن الاشتراك — سواء بالانتخاب أو بالتصويت — فى القوانين التى تنظم أعمالكم وتتحكم فى حياتكم فكيف تشعرون بفخار القومية وتحسون بأيه غيرة على الدولة أو ولاء أكيد للقوانين ؟ إن العدالة لا تقسط عليكم كما تقسط على الطبقات الأخرى فأنى لكم أن تتعلموا إجلال العدالة وحبها ؟ إن المجتمع لا يعاملكم معاملة فيها شىء من العطف فأنى لكم أن تتعلموا العطف على المجتمع ؟ فأنتم إذن فى حاجة إلى تغيير فى شؤونكم الحيوية يعينكم على رقيكم الأخلاق ، وأنتم فى حاجة إلى الإقلال من العمل حتى تتوفر لديكم بضع ساعات من اليوم تنفقونها فى تثقيف عقولكم ويلزمكم أن تعوضوا عن عملكم جزاء موفوراً تدخرون منه ما يطمئن قلوبكم على المستقبل ، ويطهر نفوسكم فوق كل شىء من الميل إلى الاقتصاص وعواطف الانتقام وشهوة النيل ممن تحامل عليكم ظلماً وعدوانا . يجب أن تسعوا إذن من أجل هذا التغيير ، ولا بد أن تحصلوا عليه ، ولكن على أن يكون وسيلة لا غاية . جاهدوا من أجله لتصلحوا من أحوالكم لا لتحققوا سعادتكم المادية فحسب ، وإلا فأى اختلاف يكون بينكم وبين طغاتكم ؟ إنهم لم يكونوا طغاة إلا لأنهم لم يفكروا فى شىء سوى الرفاهة واللذة والسلطان . ويجب أن يكون غرضكم الأسمى فى الحياة ترقية حالكم . ولن تستطيعوا أبداً أن تخففوا من شقائكم إلا بإصلاح شؤونكم . أما إذا قصرتم جهادكم على تحقيق أغراض مادية أو إنشاء نظام خاص فلا بد أن يقوم بينكم آلاف من الطغاة . إن تغييراً يحدث فى النظام الاجتماعى لا يكون له معنى إذا حلتم فى قلوبكم أنتم وغيركم من الطبقات شهوات اليوم وأنانيته . إن النظم كبعض النباتات التى تخرج سماً أو شفاء وفاقا للطريقة التى تستخدم فيها . لذلك ترى الرجال الأخيار يحيلون الأنظمة الفاسدة صالحة ؛ بينما الرجال الأشرار يحيلون الصالحة فاسدة . وعليكم أن تقوموا الطبقات التى تجور عليكم اليوم قصداً أو عن غير قصد ، وتقنعوهم بما عليهم من الواجبات . بيد أنكم لن تفلحوا فى ذلك إلا إذا بدأتم بإصلاح أنفسكم ما استطعتم إلى ذلك سبيلا .

فإذا سمعتم إذن ناساً ينادون بضرورة انقلاب اجتماعى ويحدثونكم بأنهم قادرون على تحقيقه بدعوى حقوقكم فقط فاشكروهم على حسن مقاصدهم ، ولكن أشفقوا من النتيجة . إن آلام الرجل الفقير معروفة — على الأقل — للطبقات المترفة ولكنها إن عرفتها فهى لا تحس بها .

ولقد كان من نتيجة عدم الاكتراث السائد الذى نشأ من عدم وجود عقيدة عامة كما كان من نتيجة الأثرة التى ولدتها مداومة التبشير زمناً طويلا بنظرية الرفاهية المادية ؛ كان من نتيجة ذلك أن الذين لم يتذوقوا طعم الشقاء تعودوا على مر الأيام أن ينظروا إلى هذه الآلام كضرورة سيئة للنظام الاجتماعى ، وأن يتركوا أمر علاجها للأجيال القادمة .

وليست الصعوبة فى أن تقنعوهم ، بل فى أن تزيلوا عنهم كابوس الجمود ، وأن تحفزوهم إذا ما اقتنعوا إلى العمل وإلى لم شملهم ، والتعاون معكم تعاونا أخوياً فى سبيل خلق نظام اجتماعى يكفل القضاء — إلى الحد الذى تجيزه ظروف الإنسانية — على آلامكم أنتم ، وعلى مخاوفهم هم . والآن ندرك أن هذا من عمل الإيمان ، الإيمان بالرسالة التى قدرها الله على الإنسان فى هذه الدنيا . والإيمان بالمسئولية التى تقع على كل من لا يؤدى هذه الرسالة ، وبالواجب الذى يحتم على كل فرد أن يجاهد دواما باذلا التضحية الذاتية من أجل قضية الحق . أما نظريات الحقوق على شتاتها ، ونظريات الرفاهة المادية فليس لها من أثر غير أن تحملكم على القيام بالمحاولات التى طالما بقيت منفردة موقوفة على قوتكم فحسب ، فلن يقدر لها فلاح ، فضلا عن أنها لا بد أن تؤدى إلى ارتكاب أشنع الجرائم الاجتماعية بإثارتها حربا أهلية بين الطبقات .

أيها العمال الإيطاليون ! أى إخوانى ! لما أتى المسيحُ وغيّر وجه الأرض لم يتكلم عن الحقوق ، لا إلى الأغنياء الذين لم يكونوا فى حاجة إلى الحصول عليها ، ولا إلى الفقراء الذين ربما كانوا يسيئون استخدامها فى مجاراتهم للأغنياء . لم يتكلم عن الفائدة أو النفعية إلى أمة أفسدتها الفائدة وأضرتها النفعية ؛ إنما تكلم عن الواجب . تكلم عن المحبة والتضحية والإيمان . قال « يجب ألا يتصدر الناس إلا من أحسن بعمله إلى الناس أجمعين » . فلما أن نفذت هذه الأفكارُ إلى سمْع مجتمع لم يبق فى فؤاده أىّ بريق فى الحياة أحيته من جديد ، وتسلطت على الملايين بل على العالم ، ونهضت بتربية الجنس البشرى نهضة جديدة .

أيها العمال الإيطاليون ! إنا نعيش فى عصر كعصر المسيح . إنا نعيش فى وسط مجتمع فاسد شبيه بعصر الامبراطورية الرومانية ، ونحسّ فى نفوسنا بضرورة تغييره وبعثه بعثاً جديداً ، ولمّ جميع أعضائه وعمّاله تحت راية إيمان واحد ، وقانون واحد ، وغرض واحد . أى أن الواجب علينا أن نرعى جميع المواهب التى أنعم الله بها على عباده ، وأن ننشّئها على غرار الحرية والتقدم ، وأن نترسّم حكم الله فى الأرض كما فى السماء . أو بعبارة أفضل أن تكون الحياة الدنيا إعداداً للحياة العليا ، وأن يسعى الناس ليدنوا حثيثاً من الوحى الإلهى .

لقد كان كل عمل من أعمال المسيح يمثل العقيدة التى نادى بها ؛ كما كان حوله رسل أخرجوا هذه العقيدة إلى حيز الوجود فى كل أفعالهم . فسيروا على نهجهم ، وسوف يكون النصر لكم . بشّروا بالواجب إلى رجال الطبقات التى تعلوكم ، وأدوا بقدر ما فى مكنتكم واجباتكم أنتم . بشّروا بالفضيلة والتضحية والمحبة ، وكونوا أنتم مُثُلَ الفضيلة والتضحية والمحبة . اعلنوا فى شجاعة عن حاجاتكم وآرائكم ، ولكن فى غير غضب أو حقد أو تهديد . إن أبلغ التهديد — إذا كان هناك من هو فى حاجة إلى التهديد — لهو القول الرصين لا الثائر .

وإذ تنشرون بين أقرانكم فكرة عن حظوظهم المقبلة ، فكرة عن الأمة التى ستكسبهم اسماً وتربية وعملا وأجوراً عادلة وتبعث فيهم شعور الكرامة وتبوّئهم مراكز الرجال ، وبينما تضرمون فى نفوسهم نيران الحماسة للجهاد المكتوم الذى لا بد أن يتأهبوا له حتى يفوزوا بتحقيق هذه الأمانى ، برغم جميع قوى حكومتنا السيئة ، وبرغم قوة الأجنبى . بينما تقومون بذلك كله فلا تنسوا أن تثقفوا أنفسكم ، وتهذبوا أحوالكم ، وتتذاكروا واجباتكم وتؤدوها .

هـذا واجب غير ميسور على الجماهير فى جانب كبير من إيطاليا ، ولا يمكن تحقيق خطة فى التربية الشعبية فى بلادنا بدون تغيير فى حالة الشعب المادية . بل وبدون ثورة سياسية ، والذين يخدعون أنفسهم فيجرون وراء ذلك الخيال وينادون به كتمهيد لازم لأى محاولة فى التحرر إنما يدعون دعوة خرقاء ليس إلا . أما القلائل الذين يمتازون بينكم بظروف طيبة ، ومكّنتهم الإقامة فى البلاد الأجنبية أن يكتسبوا شيئاً من وسائل التربية الحرة ، فأولئك هم الذين يستطيعون أن يقوموا بهذا الواجب . ولذلك يتحتم عليهم أن يقوموا به ، وهؤلاء القلائل إذا ما تشبّعوا بالمبادئ الحقة التى ترتكز عليها تربية الأمة كانوا كفاية فى أن ينشروها بين الألوف كنبراس يهديهم سبيلهم ، وحصانة تحميهم من الأوهام والنظريات الخاطئة التى ستصادفهم فى حياتهم .

(ترجمة)

عامر عبد الوهاب

صور سودانية . . .

للاستاذ عباس حسان خضر

[هذه الصور من وحى عهد كان لنا بالسودان ، وكان لنا فيه أهل بأهل وإخوان بإخوان . . .]

المقرن :

هنالك على مبعدة من الخرطوم ومقربة من أم درمان(1) يلتقى النيلان : الأبيض والأزرق . وكم وقفت أشاهد هذا الاقتران الدائم الخالد ، وكم تفرجت بمرأى الموجة الزرقاء تجد فى أثر البيضاء ، هذه تتدلل وتلتوى ، وتلك لا تيأس ولا تنى ، حتى تدركها آخر الأمر ، فتمتزجان ... وقد تعطف البيضاء على الزرقاء ، فتسيران كحبيبين يمشيان الهوينى عِطفاً إلى عِطف ، حتى إذا قطعتا شوطاً أمنتا بعده أعين الرقباء امتزجتا ...

ولست أنسى تلك الليالى القمرية التى كان مديرو حديقة المقرن ينظمون فيها حفلات موسيقية راقصة ، ولم يكن هى أولئك الراقصات من بنات الروم اللائى يملأن الخرطوم ، ولا موسيقى الجيش المصرى — لم يكن أولئك ، وهن قيد النواظر ... ولا هذه ، على جلال خطرها ، ليعنياني من التسلل بين الأشجار على شاطئ النيل الأزرق ، حتى أبلغ ذلك الرأس الذى ينتهى عنده الشاطئان المنتهيان ، فانظر كيف يتم اتحاد النيلين ، على اختلاف اللونين ... ثم يحتضن الشاطئان الباقيان النيلَ المتحد ، فيسير بينهما ، يبعث الحياة فى واديه ، ويومئ بالوحدة بين بنيه ...

سافية المرغنى :

والنيل الأزرق قبل أن يلتقى بالأبيض يمر بشمال مدينة الخرطوم متجهاً إلى الغرب ، وعلى شاطئه مما يلى المدينة شارع طويل واسع جميل ، يبتدئ من شرق الخرطوم إلى غربها ، ثم يدعها سائراً مع النيل الأزرق إلى المقرن

(1) ليس التقاء النيل الأبيض بالأزرق عند الخرطوم كما يقول الجغرافيون ، وإنما هو أقرب إلى مدينة أم درمان ، وهو يبعد عن الخرطوم نحو (١٥ كيلو) .

وذلك الشارع من أجمل شوارع الدنيا ... يقع فيه قصر الحاكم العام ، وقصر السيد المرغنى ، ومنزل مفتش الرى المصرى ، وفندق فخم يسمى (الجراند أوتيل) ، وما عدا ذلك دور لكبار البريطانيين . وقد وقفت على جانبيه أدواح ممتدة الأغصان كثيفة الأوراق ، تكاد تسقف الشارع ، فتقى السائرين لفحة الرمضاء ؛ ولا تقع العين من خلل أشجار الطوارين إلا على صفحة النيل الزرقاء الصافية من جانب ، وحدائق الدور الكبيرة الحافلة بشتى صنوف الثمار والأزهار من الجانب الآخر ، حتى تصل إلى قصر السيد المرغنى الزعيم الدينى الكبير الذى يلهج الشعب السودانى باسمه فى حركاته وسكناته — فترى هناك فى مقابلة هذا القصر على حافة النهر ساقية يجرها ثور ، تحمل الماء إلى حديقة القصر ، وهى خاصة خُصَّ بها ذلك السيد الجليل ... ولا تستحث هذا الغلام الذى يحث الثور إذا توانى ، فهو يشعر شعوراً قوياً ببركة سيده ، ويثلج قلبه للقيام بهذه الخدمة ، ويزدهى ببلوغه هذه المرتبة ... ترى ذلك على وجهه ، وتلمحه فى ابتسامته الراضية المفترة عن أسنانه البيضاء الناصعة ...

وبعد ، فما ذا تقول هذه الساقية ، أوعم تعبر موسيقاها الواهنة فى أنينها ... القوية بتأثيرها ؟

فهمتها مرة تتألم لوحدتها فى هذه البقعة التى جعلت المدنية فيها رفع المياه بالطرق الآلية الحديثة ، وبودها لو ترى لها جارات أمام قصور سادات كسيدها ... ومرة أخرى أدركت ما ترمى إليه من ترتيلها المتصل الدائب الذى لا ينقطع إلا إذا غفل الغلام عن وقفة الثور ، كأنها تدل على جدوى العمل المتصل فى يقظة الراعى ... ومرة ثالثة سمعتها تزهى بأنها تروى وتطرب ... وكثيراً ما قالت لى : أنت اليوم هنا ، وغداً تكون هناك فى الشمال ... فهل ستذكرنى ؟

ربيع السودان :

فى الوقت الذى يشتد فيه البرد بمصر حين يكون الشتاء — ينعم السودان بجو دافئ مشرق ، تنبعث فيه الحياة ، ويدب النشاط فى كل شىء ، ينشط الإنسان بعد أن ران عليه صيف طويل ثقيل ، وتهش نفسه للطبيعة التى لانت له بعد شدتها ، وتهدى

إليه الأزهار شذاها مع الهواء الذى ينسى برقته ما كان من لفحه وهبوبه[1] ، ويكون النبات الذى ترعرع على فيضان النيل قد نضج وآتى أكله ، فتكثر الخضروات ، وتعم الخيرات ...

فى ذلك الوقت (من أواخر ديسمبر إلى أوائل مارس) يكون الجو فى السودان معتدلا ، لا يكاد الإنسان يشعر ببرد إلا فى الليل ، فإذا ما طلعت الشمس صبت حرارتها على الأرض كأنها مدفأة كهربية ، وكأن الأرض كلها غرفة عملت فيها المدفأة عملها ، فما ينتصف النهار ، وتحمى الشمس ، ويحل وقت الغداء ، حتى يلذ أكل البطيخ الدائم هناك ، كأنك فى صيف القاهرة !

ونحن فى مصر لا نكاد نتمتع بالربيع ، إذ ينقلب البرد إلى حر ، لا يفصل بينهما إلا أيام قليلة كأيام السعادة ، تشوبها تغيرات فجائية كما تشوب السعادة طوارئ الهموم والأكدار ؛ أما السودان فإن الطبيعة تعوضه الربيع (الذى يسمونه شتاء) عن قسوتها عليه سائر العام بطول الصيف وشدة القيظ

جمال الليل :

ولولا ليالى الصيف الجميلة لكان شواظاً من نار ، فالليل هناك فى الصيف متعة أى متعة ! لا يجلس أحد ولا ينام تحت سقف ، فكل بيت له حديقة أوفناء ، حيث توضع (العنجريبات) فى المساء ، و (العنجريب) : سرير صغير ، خفيف المحمل ، لين المرقد ، ولم أر أجمل من ليل كنت أقضيه على (عنجريب) فى حديقة منزلى بالخرطوم ، تتنزل إلىّ أشعة القمر من خلال أوراق الشجر ، كأنها روح من السماء يهبط على نفسى بالطمأنينة والرضى ... وتنعشنى نسمات الليل الرفيقة ، وينقع غلتى كوز ماء من (الزير) الصغير الذى يأخذ من (العنجريب) مكان (الكومدينو) من السرير فى حجرة النوم ...

وماء ذلك (الزير) فى ذلك الليل هو الذى يشبه عمر بن أبى ربيعة وَجْدَه بحبيبته بالوجد به إذ يقول :

قال لى صاحبى ليعلم ما بى : أتحب القتول أخت الرباب ؟
قلت وجدى بها كوجدك بالعذ ب إذا ما منعت طعم الشراب

عيون المها :

وما دمنا بصدد روائع فى السودان ، فلا مفر من تينك العينين اللتين تبدوان فى وجه المرأة السودانية ، ولا نكاد ترى منها غيرها ، وهما حسبك ! فهى ملفعة بالملاءة البيضاء ، ترى فتور عينيها فى مشيتها ؛ تصطنع الأناة والتمهل ، وتعد ذلك من تمام الجمال والدلال !

ولست أدرى ما ذا أقول فى تلك العيون ولم يدع الشعراء شيئاً يقال فيها إلا نسبوه إلى « عيون المها ... ؟ » على أننى قد رأيت المها ، وتأملت عيونها ، فلم أجد فيها شيئاً من جمال عيون السودانيات ...

ويظهر أن إخواننا السودانيين يخشون السهام التى تنطلق من تلك العيون ، فلم يسمحوا بعد للمرأة أن تنزل إلى جانبهم فى ميدان الحياة العامة ، فنواديهم خالية منها ، وهى تحوم حولها ، فما أشبه ذلك بما وصفه الشاعر :

كأن عيون الوحش حول خبائنا
وأرحلنا الجزع[1] الذى لم يثقب

عباس حسان خضر

(١) الجزع : خرز فيه بياض وسواد تشبه به العيون .

(١) تهب فى السودان ريح شديدة تسمى (الهبوب) وهى تأتى بعد فترة سكون يشتد فيها الحر ، وتكون محملة بالرمال ، وتسوق سحاباً ثقالا ، ويخيل إلى من ينظر إلى مهبها أنها جدار قام من الأرض إلى السماء ، فيظلم الجو ويشتد الأمر على الناس حتى تهدأ العاصفة بنزول المطر الغزير ، فيصفو الجو وتهبط درجة الحرارة ؛ ويكون ذلك فى يولية وأغسطس وقليل قبلها وبعدها ، وتسمى هذه الفترة هناك (فصل الخريف)

مما عثرنا عليه فى أضاميم (الرسالة) :

المَلَكُ الثـــائر ... !

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

مقدمة :

[هذه الأقصوصة تحتوى نزعتين : النزعة الأولى سخط النفس من شرور الحياة وآلامها ، والنزعة الثانية تهون أمرها على النفس ، لأن رفض الألم رفض للسعادة ؛ إذ الاحساس الذى يحس السعادة لابد أن يحس الألم . ورفض الشر فى الحياة رفض للخير ، إذ الخير فى محاربة الشر ، ولأن الرحمة نفسها التى تدعو إلى هذا السخط ما كانت تكون لولا الشر . والقصة هى قصة ملك عصى ربه وهبط إلى الأرض كى يدعو الناس إلى محو الشر فآذوه وأخذوا به كل شر ؛ وخسر رضوان الله كما خسر رحمة الناس وعدلهم ومحبتهم . والمراد المقنة وتحبيب الحياة والثقة بالله] .

نُبِّئتُ أن ملاكا ثار من حزَنٍ ... يسائل الله فى خلق الرزيئات

(قول الملك الثائر يناجى الله) :

تكلَّمَ الشر فابعث منك هاتفة ... من الجوامع تُرضى فى المناجاة[1]

الأرض منـــبره وهو الخطيب بها

يدعو النفوس إلى هُوجِ الطيّبات[2]

فارحم مسامع لم تسمع نجيَّكَ أو

نفساً لضوئك ترنو فى الخصاصات[3]

وارحم عيونا إلى مرآك ظامئـــة

آبت من التحسير فى شك كليلات[4]

إذن أعزها لحاظا منـــك صادقة

تدحو لهـا العيش محمود الصحيفات

وابعث لنا حكمة مما خُصصتَ به ... فحكمة لك تَطفى حرَّ غُلاّت

ندرى الوجودَ كما تدرى الوجود بها

ونرتضيه بأرواح أبيـــات

(١) تكلم الشر أى أنه أغرى الناس بمغرياته وجوامع الكلم التى تجمع الحكمة الفاصلة المقنعة .

(٢) منبره أي منبر الشر فيرجو الملك من الله أن يبطل حجة الشر الخطيب بكلمة منه تجمع الحكمة . الهوج جمع ، أى أن الشر يحمل النفس على الحمق والجنون .

(٣) نجيك أى نجواك والخطاب لله عز وجل ، والخصاصات الثقوب ، أى أن النفس تتطلع إلى ضوء الله من ثقوب باطل الدنيا الذى يحجب ضوءه .

(٤) آبت أى عادت ورجعت وكليلات أى متعبة .

فما الخلود ولا الفردوس من أرَبى

ولا كمالٌ لمعصـــوم السجيات[1]

حتى أرى الناس لا دمع ولا حزَنٌ ... ولا شقاء بإجرام وغمّات

سأبلغ الأرض آسَى مثلما حزنوا

وأبرىء الناس من جرح البليات[2]

إن الجهاد على النقص الذى طبعوا ... عليه أفضل من عصم السجيات

فالسيف أفضل مشهوراً وإن صدئت

بالصون ما درنت منه بإصْلاتِ[3]

(صوت من السماء) :

اهبط إلى الناس واندبهم إلى خلق

كما تشاء على تقوى وإخبات[4]

وارغب بهم عن شرور أنت ناقمها

وداوِ ما استطعت كلْمَ المصمئلات[5]

أوردْهُمُ الخُلُقَ الأعلى لعل لهم

إلى الدنيات طبعاً غير منصـات[6]

فإن فشلت فلا غَرْوٌ فإن لنا ... فى الخلق حكمة مخبوء العلامات

(سعى الملك الثائر واضطهاد الناس إياه وفشله) :

سعى إلى الناس ساع نحو خيرهمُ ... يدرُّ للخير أرواحا بكيّات[7]

فيا لسعدهم لو أنهـــم جَنَبوا

ما يجنب السعدَ من حرص المباراة[8]

عزيز عاداتهـــم للشر رائدهم

كم قدسوا العادَ تقديس الديانات[9]

(١) أى أن الثائر يأبى كل هذا الخير ، والنعيم ما دام الشر والشقاء فى الحياة .

(٢) آسى أى أحزن من الأسى

(٣) أصلت السيف جرده من غمده وصدئ الحديد علاه الوسخ والصدأ ، ودرن أصابه الدرن أو الوسخ والتاء فى صدئت إشارة إلى صفحة السيف . والمعنى هو أن محاربة النفس للشر مع ما طبعت عليه من النقص أفضل كما أن السيف المستعمل أفضل من السيف الذى لا فضل فيه وإن أصابه الدرن من الاستعمال .

(٤) أخبت إلى الله خشع له .

(٥) الكلم الجرح والمصمئلات المصائب والكوارث واسطعت أى استطعت .

(٦) أوردهم أى اجعله موردا لهم ومنصات إلى الشىء أى منقاد إليه

(٧) الناقة البكى القليلة اللبن ، ويدر يستنزل الدر أى اللبن والمراد خير النفس .

(٨) أى إن جشع التنافس فى الدنيا مما تطلب به السعادة ولكنه كثيرا ما يؤدى إلى ضياعها

(٩) تقديس العادات ليس مقصوراً على العادات الفاضلة والعاد العادات

تبغي المُحالَ فتبغي الخير أجمعه — هيهات لو عزّيت نفس بهيهات

كشّفتَ عيب نفوس أنت ناصحها
فاحمل عن الخلق آلام الشقاوات (١)

ثارت به الناس كالأغوال يقدمهم — إليه كل عريق في الجهالات

وحمّلوا خُلقه من سوء خلقهم — وكم رموه بأدناس الرمايات

ومزّقوه بأظفار كما خضبتْ
فوانك الوحش من دامي الفريسات

وعلّقوه على جزعٍ وقيل له
اصعد كما رمت في مرقى السجيات (٢)

ماراعه أن رأى الأشرار ترجمه — وإن توجّع من وقع النكايات

حتى إذا ما رأى الأبرار تظلمه — غرارةً وانصياعاً للسّعايات

بكى لبغض ذوي خير وما منيت — نفس بأوجع منه في العداوات

من كل لحظ بضوء الخير مُنبعثٍ
يدجو عليه بتقطيب السخيمات (٣)

تلك النفوس التي عاف السماء لها — وثار يُغضب جبار السماوات (٤)

يُكفّر الناس بالآلام قاطبة — عن الخطايا وعن شر الدنيّات

وعن رضاء بعيش جُلّه نقمٌ — وعن ولوع بنعماء ولذات (٥)

هم يعذرون بمدح الخير شرّهم
تكفير من لم يُطق هجر الخطيئات (٦)

لسان برّ بثلب الشر منطلق — مثل الأفاعي وما قلب بعزهاة (٧)

ما أنكر الناس شراً غير ضائرهم — أينكرون شهيات الغريزات

(صوت من الجحيم : إبليس يتكلم) :

ناداه في النار إبليس فقال له : — هوّن عليك ولا تولع باعنات

قد شاء ربك إن الشر عدته — في صيغة الخير قدرٍ وميقات

أنا الشقيّ بما لم أجنه أبداً — من خلق نفسي ومن آثام زلاتي

(قول الثائر الساخط) :

فقال ذو شقوة بالجزع منتصب — يكلّم الله في نجوى السريرات

أنزل عليّ شقاء الخلق قاطبة — وطهر الناس من ضير الجريرات

إن يظلموني فمن بالشر يجبلهم — أو يصلبوني فمن باري الجنايات

هل يَعذرُ الشر أن الخير غايته — أم هل تهوّن آثامٌ بغايات

(مصير الثائر) :

تخلّفتْ روحه كالطير سابحة — في الجو تنشد مخضرّ النباتات

طارت إلى الملأ الأعلى فما لقيت — لها قراراً ولم تظفر بمهواةِ

لا في الجحيم ولا الفردوس مسكنها
حيرى المسالك من فقد القرارات

ترى الملائك حول العرش آسية — تأسى الملائك من إثم وزلات

(صوت من السماء) :

يا ناقم الشر هلا كنت مضطلعاً
بالجزع والصلب قبل الكارث الآتي

عصيت ربك في كبر وفي جهل — لما برمتَ بأيلام الملمات (١)

الخلقُ للخلق ربح لو فطنت له — كغنم الحي من أسلاب أموات

والشر والخير لا يرجى افتراقهما
فارفض إذا اسطعت نعمائي ولذاتي

حتى العقول وحتى الفضل أجمعه — ولذة النفس في بذل المروءات (٢)

ومرتضى الخير لو يسمى إلى دنس — لباء منه باخلاف العلالات

ومرتضى الزهد مسعود بعفته — ولذة النعم إنماء الخيالات

برحمة قد نماها الشر تنقمه — ورحمة المرء من وخز المصيبات (٣)

إن كان سخطك خيراً في مراحه — أجزت خلق بأرواح رحيات

فالشر للخير مردود وإن أسيت — منه النفوس بأنّات وآهات

وباحث سرّ عيش غير مدركه — كالطفل ينشد أفلاك السماوات

عبد الرحمن شكري

(١) هذا البيت تفسير لسخط الناس على ناصحهم وطالب الخير والسعادة لهم لأنه بنصحه يظهر عيوب نفوسهم واحمل عنهم أي بدلا منهم .
(٢) صلبوه ، وقولهم اصعد كما رمت من قبيل السخر .
(٣) السخائم والسخيات الأحقاد .
(٤) عاف السماء لها أي من أجلها ومن أجل تعاستها .
(٥) جله أكثره .
(٦) من أسباب شدة ولوع الناس بمدح الخير ميلهم إلى التكفير بمدح الخير عن شر أعمالهم وهذا لا ينفي أن تكون هناك أسباب فاضلة لمدحهم الخير .
(٧) عزهاة أي زاهد ولها معان أخرى والثلب الذم والانتقاص .

(١) برم بالشيء ضجر وسئم .
(٢) ذلك لأن نمو العقل البشري كان بسبب مكافحته للمصائب والآلام والشرور ؟ فالذي يريد حياة لاشر فيها يريد إنسانا لاعقل له وكذلك الفضائل إنما نمت لأنها هي محاربة الشرور .
(٣) الرحمة تنتمي إلى الشر أي لو كانت الحياة لاشر فيها لما عرفت النفس الانسانية الرحمة

تعالوا نكفر بالمدنية !

للأستاذ عبد الحميد ياسين

ان من حق الأسماك والحيوانات الأخرى فى المحيط الهادى ، بل من واجبها أن تبتهج وتلهج بالثناء على جمعية حماية الحيوانات فى سويسرا حين تقرأ — كما قرأنا بالأمس — نبأ الاحتجاج الشديد الذى قدمته هذه الجمعية إلى الرئيس ترومان على تجربة القنبلة الذرية فى مكان ما فى ذاك المحيط .

حقاً ، إن المدنية قد بلغت الذروة فى السمو ، والشعور الإنسانى قد بلغ حداً من الإرهاف لم نكن نحلم به

لقد ساء هذه الجمعية تعريض حياة الأسماك للخطر من جراء تجربة القنبلة الذرية فاندفعت تحتج عليه ؛ أما أنا فسرعان ما عادت بى الذاكرة طاوية أشهراً عشرة إلى اليوم الذى أسقطت فيه إحدى القلاع الطائرة الأميركية هدية نفيسة صغيرة الحجم غالية الثمن على مدينة هيروشيما اليابانية . لقد كانت هذه أيضاً قنبلة ذرية ، بل أول واحدة تفتقت عنها عبقرية مدنية الغرب ، وأهدتها إنسانيته الرفيعة . كان لهذه القنبلة دوى وانفجار ، ودخان ونار ، وحرق وهدم ، وموت مخيف ، أودت بحياة مئتى ألف من الناس ، وأصابت كثيرين بعاهات . وبعد أيام معدودة تلتها قنبلة أخرى أهديت إلى مدينة أخرى فى اليابان كانت أقوى أثراً وأشد فتكا

عدت أبحث فى زوايا الذاكرة عن نبأ استنكار أو استهجان أو احتجاج أوحت به العاطفة الإنسانية الرفيعة إلى جمعية فى سويسرا أو غيرها من البلدان الموغلة فى المدنية ، فلم أجد شيئاً . ثم جعلت أفكر ، فهدانى الفكر إلى تعليل بدا مقبولا : إذ قلت لنفسى : لو استنكرت جمعية كهذه عملا كهذا ، أو استهجنته ، أو احتجت عليه ، لفسر ذوو الحول والطول عملها بأنه مناهض للقوى الديمقراطية ، وأنمو عليها وعلى القوم الذين تقوم بين ظهرانيهم بقنابل صاعقة ماحقة بنية التأديب والتهذيب

وفكرت فى سويسرا ، تلك البلاد البالغة الذروة فى المدنية والرقى الإنسانى ، وذكرت أنها كانت مقراً لعصبة الأمم ، وأنها فندق أوربا فى الصيف والشتاء وما بينهما . فقلت : لعل هذه الصيحة من جمعية فيها تذكر الناس بأنها لا تزال الفندق الفخم الذى عرفوه ، ليعودوا إليها بمنظمتهم المالية الجديدة ، حيث الجو الإنسانى مؤات ، والعواطف النبيلة السامية تملأ الأرجاء .

وكدت أسبح بحمد الرغيف الذى يوحى سياسات الدول ، ويقرر مصاير الشعوب ؛ ولكنى آثرت الاتئاد والتروى ، وأعدت النظر فى احتجاج تلك الجمعية ، فرأيت فيه نفاقاً لا ينكره إلا أعمى ، ولا يسكت عليه إلا مأجور ، ولا يستسيغه إلا ذو ذهن بليد ، وشعور مثلم ، وخيال مهيض الجناح . ودعوت الله أن لا يجعلنى وبنى قومى من المنافقين العمى المأجورين ، وجئت أدعو الناس ، دعوة خالصة لوجه الله ، أن نكفر بهذه المدنية ونؤمن بالله وحده !

(القدس) عبد الحميد ياسين

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٧٩٦ — ما أكثر العبر وأقل الاعتبار

شرح النهج لابن أبي الحديد :

(ما أكثر العبر وأقل الاعتبار) ما أوجز هذه الكلمة ، وما أعظم فائدتها ! ولا ريب أن العبر كثيرة جدا بل كل شيء في الوجود فيه عبرة . ولا ريب في أن المعتبرين بها قليلون ، وأن الناس قد غلب عليهم الجهد والهوى ، وأرداهم حب الدنيا ، وأسكرهم خمرها ، وأن اليقين في الأصل ضعيف عندهم ، ولولا ضعفه لكانت أحوالهم غير هذه الأحوال .

٧٩٧ — ما خلا لذة الهوى والسلافة

في (نفح الطيب) :

قال الوشاح المحسن أبو الحسن المريني : بينما أنا أشرب مع ندماني بإزاء الرصافة (في قرطبة) إذا إنسان رث الهيئة ، بجفو الطلعة قد جاء فجلس معنا . فقلنا : ما هذا الاقدام على الجلوس معنا دون سابق معرفة ! فقال : لا تعجلوا على ، ثم فكر قليلا ورفع رأسه فأنشدنا :

اسقنيها إزاء قصر الرصافه ... واعتبر في مآل أمر الخلافه
وانظر الأفق كيف بدل أرضا ... كي يطيل اللبيب فيه اعترافه
وترى أن كل ما هو فيه ... من نعيم وعز أمر سخافه
كل شيء رأيته غير شيء ... ما خلا لذة الهوى والسلافه

قال المريني : فقبلت رأسه ، وقلت له : بالله من تكون ؟ فقال : قاسم بن عبود الرياحي الذي يزعم الناس أنه موسوس[1]

---

(١) وسوس فعل لازم فالاسم بكسر الواو الثانية . في اللسان : أبو منصور : إنما قيل موسوس لتحديثه نفسه بالوسوسة . في المصباح : الوسواس : مرض يحدث من غلبة السوداء يختلط معه الذهن في التاج : الوسوسة والوشوشة : كلام خفي في اختلاط .

أحمق ، فقلت له : ما هذا شعر أحمق ، وإن العقلاء لتعجز عنه ، فبالله إلا ما تممت مسرتنا بمؤانستك ومنادمتك وإنشاد طرف أشعارك ، فنادم وأنشد وما زلنا معه في طيبة عيش إلى أن ودعناه وهو يتلاطم مع الحيطان سكرا ، ويقول : اللهم غفرا !

٧٩٨ — بين ملك وعالم

قال ياقوت : لما خرج عضد الدولة لقتال عز الدولة بختيار ابن معز الدولة ، دخل عليه أبو علي الفارسي فقال له : ما رأيك في صحبتنا .

فقال له : أنا من رجال الدعاء ، لا في رجال اللقاء ، فخار الله للملك في عزيمته ، وأنجح قصده في نهضته ، وجعل العافية زاده ، والظفر تجاهه والملائكة أنصاره ثم أنشده :

ودعته حيث لا تودعه ... نفسي ولكنها تسير معه
ثم تولى وفي الفؤاد له ... ضيق محل وفي الدموع سعه

فقال له عضد الدولة : بارك الله فيك ، فإني واثق بطاعتك وأتيقن صفاء طويتك . وقد أنشدنا بعض أشياخنا بفارس :

قالوا له إذ سار أحبابه ... فبدلوه البعد بالقرب
والله ما شطت نوى ظاعن ... سار من العين إلى القلب

فدعا له أبو علي وقال : أيأذن مولانا في نقل هذين البيتين ، فأذن فاستملاهما منه .

٧٩٩ — لا . . .

كان يعقوب الكندي بخيلا وكان يقول : من شرف البخل أنك تقول للسائل : (لا) ورأسك إلى فوق ، ومن ذل العطاء أنك تقول : (نعم) وأنت برأسك إلى أسفل .

في (الكنز المدفون) : وصف بعض النبلاء بخيلا فقال : هو جلم[1] (أي مقص) من حيث جئته وجدت (لا[2]) .

---

(١) اسم يقع على الجلمين كما يقال : المقراض والمقراضان (اللسان) ويجوز أن يجعل الجلمان اسما واحدا على فعلان وتجعل النون حرف إعراب ، ويجوز أن يبقيا على بابهما في إعراب المثنى (المصباح)

(٢) ومن قول بعضهم في (لا) :

لا في الكلام تقص أجنحة المنى ... فلذاك يشبه شكلها المقراضا

٨٠٠ — بل أنت كما قال فى هذه القصيدة

قال ابن جنى : حدثنى المتنبى قال : حدثنى فلان الهاشمى من حران بمصر قال : أحدثك بظريفة : كتبت إلى امرأتى بحران كتابا تمثلت فيه ببيتك وهو :

بم التعلل لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن

فأجابتنى عن الكتاب وقالت : ما كنت (والله) كما ذكرت فى هذا البيت ، بل أنت كما قال الشاعر فى هذه القصيدة :

سهرت بعد رحيلى وحشة لكم
ثم استمر مريرى وارعوى الوسن(١)

٨٠١ — ما جمعته أنت فى بيت واحد

حدث بعض آل نوبخت قال : جاء النظام يوما فسألنا عن منزل أبى نؤاس فقلنا له : إنه يسكن تلك الغرفة ، وأومأنا إلى غرفة كان ينزلها وكان له غلام أسود وحمار أسود قال : فاستأذن عليه وقال له أنشدنى قولك :

تركت منى قليلا من القليل أقلا
يكاد لا يتجزا أقل فى اللفظ من لا

فأنشده فقال له النظام : أنت أشعر الناس فى هذا المعنى ، والجزء الذى لا يتجزأ منذ دهرنا الأطول نخوض فيه ما خرج لنا فيه من القول ما جمعته أنت فى بيت واحد .

٨٠٢ — أقول له اسكت

أنشد ابن الجوزى فى بعض مجالس وعظه :

أصبحت ألطف من مر النسيم سرى
على رياض يكاد الوهم يؤلمنى

فى كل معنى لطيف اجتلى قدحا وكل ناطقة فى الكون تطربنى

فقام إليه شخص وقصد العبث به فقال : يا مولانا قولك وكل ناطقة فى الكون تطربنى فان كان الناطق حمارا ؟

فقال له الشيخ : أقول له : اسكت يا حمار .

٨٠٣ — لا تقل ذلك فانك أميرنا

قال بعض الأمراء لجنده : يا كلاب !

فقال أحدهم : لا تقل ذلك فانك أميرنا(١) ...

٨٠٤ — الحق رحمة الله عليه !

كتاب عين الأدب والسياسة ، وزين الحسب والرياسة لعلى ابن هذيل :

إن الحق والباطل اصطحبا فى سفر ، فمشيا إلى الليل ، فلما نزلا قال الباطل للحق : اذهب فأتنا بشىء نفطر عليه . فذهب الحق فلم يجد شيئا من حله فرجع ، فقال له الباطل : ما صنعت ؟ قال ما أجد شيئا حله . فقال الباطل : أجلس حتى آتيك ، فذهب فلم يلبث إلا يسيرا حتى جاء بشىء ، فقال للحق : كل . فقال : ما أراه من حله ولست بآكله . فقال له الباطل : بعثتك لتأتينى بشىء فلم تجد شيئا ، فلما ذهبت أنا وجئت بما نفطر عليه حرمته على ، فنازعه فوثب الباطل على الحق فقتله ثم قال : إن أهل الحق قد علموا أنه خرج معى ، ولا بد لهم أن يطلبونى به ، فعمد إلى حطب فجمعه ثم أضرم عليه النار حتى صار رمادا ثم ذهب وتركه فجاء أهل الحق فقالوا : ما فعل الحق ؟ قال : لا علم لى به ، فقالوا : خرج معك ، فقال : نعم ، ولا أدرى ما فعل . فخرج أهل الحق يطلبونه حتى وقفوا على الموضع الذى أحرقه فيه الباطل ، فقالوا : هذا رماد الحق ، وهذا موضع ناره ، فجمعوا رماده ، وصنعوه مدادا يكتبون به .

فهذا ما بقى من الحق ، فأما الحق بعينه فقد ذهب ...

(١) فى شرح العكبرى : المرير جمع مريرة وهى القوة من الحبل واستمر استقام . وفى الأساس : استمر مريره واستمرت مريرته : استحكم وفى التاج : استمر مريره أى استحكم عزمه ، وقال ابن شميل : يقال للرجل إذا استقام أمره بعد فساد : قد استمر ، والعرب تقول : أرجى الغلمات الذى يبدأ بحمق ثم يستمر ، وأنشد للأعشى يخاطب امرأته :

يا خير انى قد جعلت استمر أرفع من بردى ما كنت أجر

(١) فى (خلاصة الأثر) للمحبى : كان بعض الوعاظ يعظ طائفة من الناس فنظر منهم أعراضا ولغطا فقال : ألا اسمعوا يا بقر ! فقال بعضهم : قل : يا ثور ..

من حياة اليونان القدماء وطرائف أحاديثهم :

حفلة الشـــاعر . . .

للأستاذ ماجد فرحان سعيد

* نقلت عن الانجليزية من كتاب (الحيوات الخالدة لعظماء الفلاسفة) لمؤلفيه هنرى توماس ودانا لى توماس » .

أحيا أجاثون Agathon الشاعر الأثيني القديم حفلة ساهرة في بيته ، دعا إليها نخبة ممتازة من خيرة أصحابه ليشاركوه سروره بمناسبة فوزه بالجائزة الأولى لروايته التي مُثّلت في « الملهى الإغريقي » . وكان المدعوون يتناقشون في أحد الموضوعات التي يجدون فيها ألذ متعة وأمتع لذة — وهو الحب ، فجرب كل واحد بدوره أن يبسط رأيه في معنى هذا الموضوع الشائق .

فاستهلّ فيدروس Phaedrus الموضوع بقوله : « الحب أقدم الآلهة ومن أشدها قوة . فهو ذلك القانون الذي يحوّل الشخص العادي إلى بطل صنديد ، لأن العاشق يستحي ورباً بنفسه أن يظهر أمام محبوبته بمظهر الجبان الرعديد . ولو قدر لكم أن تجهزوني بجيش من العشاق ، لاستطعت أن أدوّخ العالم بأسره »

فيوافق بوزانياس Pausanias على هذا ويزيد عليه قوله : « نعم ! ولكن يجب عليك أن تميز بين الحب الأرضي والحب السماوي ، أعني أن تميز بين جاذبية جسمين من جهة ، وائتلاف روحين من جهة أخرى . إن الحب الجسماني المبتذل ، يتخذ أجنحة ويطير عند ما تذوى زهرة الشباب . وأما الحب الروحاني الرفيع ، فهو سرمدي خالد » .

وعندئذ يفاجئنا الشاعر الهزلي أريستوفانيس Aristophanes بنظرية طريفة جديدة في الحب ، فيقول : « في الأيام القدامى ، كان الجنسان متحدين في جسد واحد ، وكان هذا الجسد مستديرا كالكرة ، مجهزاً بأربع أيد وأربع أرجل ووجهين ، ينتقل من مكان إلى آخر بسرعة مدهشة ، إذ يثب وثبات منقلبة متتابعة . ومع ذلك ، كان هؤلاء الناس قوماً جبابرة ، ليس لطموحهم حد . فلقد رسموا الخطط ، ووضعوا التصاميم ، كي يتسلقوا أجواء السموات ويهاجموا الآلهة . ولكن خطرت على بال زيوس Zeus خطة غريبة رائعة إذ قال : لنقسم الواحد منهم شطرين ، فيكون للشطر نصف القوة ، وهكذا نضاعف عدد ضحايانا ... وبالفعل شطرهم إلى ذكر وأنثى ، ومنذ ذلك الحين تولدت في كل من هذين الجنسين رغبة عنيفة في الاتحاد مرة ثانية . وهذه الرغبة الملحة لاتحاد الجنسين هي ما نسميه الحب » .

ولقد عرضت بعد هذا التفسير الفكاهي لنظرية الحب تعريفات أخر مشوقة ؛ ولكن طلب أخيراً من سقراط Socrates ضيف الشرف أن يدلي ببعض التعليقات على الموضوع .

فابتدأ سقراط حديثه بهذه التوطئة : « ماذا يمكنني أن أقول بعد أن خلبتني آيات هذه البلاغة الساحرة وأسرت فؤادي ؟ لقد تحولت إلى حجر صلد ، وأصبت بالعي والحصر . إذ كيف يتسنى لبلاهتي أن تباري مثل هذه الحكمة الرائعة ؟ ! »

وبعد أن رمى عن كاهله هذا العبء الثقيل من « التوطئة السقراطية » التي تتميز بأدبها التهكمي ، يتقدم إلى جرح « حكمتهم ببلاهته » على حد تعبيره . فيفند حججهم بعدة أسئلة متتابعة — نقول هذا غير غافلين أنه كان عميد المدرسة التي نهجت لنفسها الطريقة الاستجوابية في التعليم .

ثم يعمد إلى اتباع هذه العملية التدميرية بعملية إنشائية من عنده . فيقضي إليهم بالحديث التالي : « الحب هو جوع الروح البشرية إلى الجمال الإلهي . فالعاشق لا يكتفي بوجود الجمال ، بل يهفو إليه ويحاول أن يخلقه ، ويعمل على تخليده بزرع بذرة الخلود في الجسد البشري . ولهذا السبب يحب كل من الجنسين الآخر ، من أجل التناسل وتمديد الزمان إلى الأبدية ، وكذلك يحب الآباء أبناءهم لأن أرواح الآباء المحبين لا توجد الأبناء فحسب بل توجد شركاء وزملاء وخلفاء في البحث الدائم عن الجمال » .

وما هو هذا الجمال الذي نسعى لتخليده بواسطة الحب ؟ هو الحكمة والفضيلة والشرف والشجاعة والعدل والايمان . أو بكلمة جامعة : الجمال هو الصدق ؛ « والصدق هو الطريق الوحيد الذي يؤدي مباشرة إلى عزته تعالى » .

فتشرق وجوه الضيوف تقديرا وإعجابا ، ويعلو هتافهم استحسانا لما قاله هذا الفيلسوف الحافي ، ثم يسترسلون فيما يختص بحفلة المساء ، إذ يستهويهم السمر ، ويمعنون في شرب الخمر . وما هي إلا دقائق ، حتى يحسر الفجر لثامه ، فيصيح الديك ،

هذا العالم المتغير !

عشنا بالطاقة الذرية !

للأستاذ فوزي الشتوى

الشمس تعلمنا

هل تعلمنا الشمس كيف نستخرج الطاقة الذرية بأبسط الوسائل ومن أكثر العناصر انتشاراً في العالم ؟

كل القرائن تقول نعم . فهي ترسل إلينا بإشعاعاتها منذ القدم . وهي تغذينا بطاقتها الذرية طول عمرنا وعمرها . وتستغل في هذا السبيل أبسط العناصر وأكثرها في الوجود وهو غاز الإيدروجين . فهذا الهواء حولك جزء منه إيدروجين ، وهذا الماء الذي تغتسل به وتشربه أو تسبح فيه مؤلف من الإيدروجين والأكسوجين .

ومن ثم يسيل لعاب العلماء والحكومات ورجال الصناعة ، بالملم « الشمس » تشرق على كل مكان ، ويستطيع كل إنسان أن يرقبها ، ويدرس طريقتها في فلق ذرات الإيدروجين وإرسال طاقتها . والإيدروجين أيضاً موجود في كل مكان تطرقه . ومن المعروف أن الخالق لا يحب التعقيد بل يلجأ في تدبيره إلى البساطة المتناهية . وأول علاماتها في هذا الصدد أن الإيدروجين هو أبسط العناصر ، فتتألف ذرته من كهرب موجب واحد يدور حوله كهرب سالب واحد .

ومن ثم يبدو بعد الشقة بين كمال قدرة الخالق ونقص قدرة الإنسان ، وقد بدت حكمته فتركنا نسعى بعقلنا حتى اكتشفنا الطاقة الذرية من أعقد طريق ، وبأعقد الوسائل والمواد ، ثم استغللناها في الدمار والخراب . فعرفناها عن طريق اليورانيوم أعقد العناصر ، وبآلات بالغة الضخامة ، ثم استخدمناها لقتل البشر ودمار المدنية ، أما هو فكانت وسائله على النقيض تماما . ويكفي أن نقول إن الشمس مصدر الحياة .

وليس هذا مجال التوسع في هذا الحديث فنحن قبل بحث جديد لا يعرف سوى الله مداه . فقد وفق الإنسان إلى استخراج الطاقة الذرية ، ولكن من اليورانيوم والبلوتونيم أعقد العناصر المعروفة وأبهظها تكاليف ، فضلا عن أن بقاعا شاسعة من الأرض لا تملك منهما شيئا . وقد تكلف الرطل الواحد من العنصر الأخير ٢٥ ألف دولار حين صنعته المصانع الامريكية لقنبلتي هيروشيما وناجازاكي .

الطاقة من الإيدروجين :

والمعروف أن الشمس توالي غذاء عالمنا بالحرارة والإشعاعات الناتجة من فلق ذرات الإيدروجين المحيط بها وهي كسائر النجوم التي نراها تتلألأ في السماء تستخدم الطاقة الذرية . وهي لا تحترق كما قد يتوهم البعض لأن كتلة الشمس أوالنجوم لا تسمح ببقائها كل تلك الحقب من السنين بل المعروف أن تضاؤلها بطيء مما لا يتفق مع طبيعة الاحتراق .

وتستخدم الشمس الطاقة الذرية الناتجة من الإيدروجين ببطء بالغ وبطريقة غير معروفة ، فلا تحول من كتلته إلى أكثر من واحد في المائة . وهي نسبة أكبر من النسبة التي تحول من ذرة اليورانيوم التي تبلغ واحداً في الألف تبعاً لأحدث الوسائل العلمية ، ويقدر أن الشمس ستعيش على هذا المنوال من استخدام طاقتها الذرية ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٤٠ سنة .

ويغادر أكثر الضيوف البيت ؛ ولا يبقَ هنالك غير ثلاثة وهم : سقراط ، وأجاثون ، وأريستوفانيس فيتناول هؤلاء بنت الحان من كأس كبيرة تدار عليهم واحداً فواحداً ، وفي الوقت نفسه سمع سقراط يشرح للشاعرين اللذين أخذ النعاس يراود أعينهما ، بأن الكاتب المتفوق في الروايات الهزلية ، يجب أن يكون كاتباً متفوقاً في المآسي . وبينما هو كذلك ، يغفو اريستوفانيس وأجاثون فيضجعهما سقراط بكل هدوء وراحة ، ويعب من الكأس للمرة الأخيرة على ذكرى إله الخمر ديونيساس Dionysus ، ويذهب لمباشرة عمله اليومي ، ألا وهو توزيع الحكمة على أبناء أثينا .

ماجد فرهاد سعيد

ومن الطبيعى أن الطاقة الناتجـة من فلق ذرة الإيدروجين ستكون أقل من الناتجة من ذرة اليورانيوم ، فى ذرة الأول جسيمة واحدة ، وفى ذرة الثانى بضع مئات من الجسيمات . ولكن وفرة الإيدروجين وكثرة ذراته ستعوض النقص أو تفوقه ، فى رطل الإيدروجين الواحد ما يقرب من ٢ وأمامها ٢٦ صفراً من الذرات . وقدر ثمن الطاقة الناتجة من هذا الرطل بمبلغ ٥٧٠ مليون دولار .

حقيقة إن العلماء لم يوفقوا لاستخراج الطاقة الذرية من الإيدروجين كما وفقوا إلى استخراجها من عنصر اليورانيوم ؛ ولكنهم يعتقدون أن تحويل ذرة الإيدروجين إلى طاقة أيسر من تحويل ذرة اليورانيوم ، ومن ثم يحرصون إلى التوسع فى دراسته على سطح الأرض وفى الشمس أيضاً .

بساطة تغرى :

وقد اتجه العلماء إلى استخراج الطاقة الذرية من اليورانيوم ٢٣٥ لأن كتلة ذرته الكبيرة نسبيا وكثرة جسيماتها التى تعد بالمئات تسهل فلقها بخلاف الإيدروجين الذى تتألف نواته من جسيمة واحدة لا يتيسر النفاذ إليها بالوسائل المعروفة . ولكن بساطة تركيبها قد تساعد العلماء فى حل كثير من ألغاز الذرة .

ومثال ذلك المتعادلة Nivtron التى توجد فى الذرات الأخرى ولكنها ليست فى الإيدروجين .

ويظن أن المتعادلة تتألف من جسيمتين تعادل إحداهما كهارب الأخرى ومن ثم لا يبدو لها أثر فى مدارات الذرة الخارجية . وليس لها كهارب سالبة Elictrons ولكنها ذات تأثير كبير فى استخراج الطاقة الذرية من اليورانيوم أو من أى عنصر آخر ، فالغالب أن الإيدروجين هو العنصر الوحيد الذى يخلو منها .

ولم يصل العلماء بعد إلى الطريقة التى يمكن بها تحويل المتعادلة إلى كهرب موجب أو تحويل الكهرب الموجب إلى متعادلة برغم مابذلوه فى هذا السبيل من جهد نظراً لأهميته وما قد يسفر عنه من تحول خطير فى مجال تركيب نواة الذرة واستغلال ذرات العناصر كلها فى إخراج الطاقة الذرية فضلا عما ينتاب الصناعة ذاتها من انقلاب خطير .

الأشعة الكونية مفتاح !

ويدرس الدكتور جون هويلر من جامعة برنستون بأمريكا الأشعة الكونية حتى يحصل على مفتاح يتوسل به إلى تحويل نواة الإيدروجين إلى طاقة . والدكتور هويلر هو أحد العلماء الذين ساهموا بقسط وافر فى أبحاث عنصر اليورانيوم . وهو يرى أن نواة الإيدروجين قد تؤدى إلى نتائج كبيرة القيمة .

وقد أدت دراسة الأشعة الكونية إلى العثور على جسيمة ذرية أطلقوا عليها اسم ماسون Mison وهى ثمن كتلة الكهرب الموجب وتنتج حين تصدم الأشعة الكونية النشطة كهربا موجبا فتبدو كقطرات الماء الساقطة من « دش » الحمام .

وتنطلق جسيمات « الماسون » مسافة قصيرة فى الجو ثم تختفى قبل وصولها إلى الأرض . ولم يوفق العلماء لمعرفة سر اختفائها أو إلى العوامل التى تؤثر عليها . وإن كان المعروف أن الأشعة الكونية التى تطلق رذاذ « الماسون » ذات نشاط يصل إلى مائة بليون الكترون فولت .

هل وصلنا !

وفى رأى الدكتور هويلر أن نشاطا قدره بليون الكترون فولت يكفى لفلق ذرة الإيدروجين وإنتاج هذا الرذاذ الذى يمكن تحويله إلى طاقة . وفى رأيه أيضاً أن مائة مليون الكترون فولت قد تؤدى نتائج مشجعة .

وقد تيسر أخيراً لبعض شركات الكهرباء الإمريكية أن تصنع آلة تنتج هذا السيال الكهربائى كما أن العالم الامريكى لورانس الأستاذ فى جامعة كاليفورنيا صنع مدفعاً لتحطيم الذرة (سيكلوترون) بهذه القدرة .

ولهذا ينتظر أن تدخل فكرة الدكتور هويلر فى مرحلة التجارب العملية فى أمد قريب لفلق ذرات الإيدروجين . وعندئذ تصبح دراسة الأشعة الكونية مرشداً يقود البحث ولكن بأدوات صنعها الإنسان وعرف كيف يتحكم فيها ويستغلها .

فوزى الشتوى

حزب الاستقلال المراكشي كما يرى :

مراكش والوحدة العربية

ثلاثة اتجاهات تسيطر الآن على الحالة السياسية فى مراكش

١ — المراكشيون تحت زعامة حزب الاستقلال يريدون الاستقلال التام وضم بلادهم إلى دول الجامعة العربية .

٢ — الفرنسيون الرسميون ، والرأسماليون المستحوذون على الأرض والمالية ، يريدون إبقاء ما كان على ما كان ، وإكراه المراكشيين على الرضوخ لإرادتهم بالطغيان والتحدى .

٣ — طائفة من اليساريين الفرنسيين ومن بينهم من له مسؤولية فى حكومة باريز الحالية يريدون إلغاء عقد الحماية المبرم بين الحكومة المغربية وحكومة فرنسا سنة ١٩١٢ ، وإبداله بعقد آخر تدخل به مراكش فى حظيرة العائلة الفرنسية ، على شكل يشير من قرب أو من بعد إلى شكل جمهوريات القوقاز التابعة للاتحاد السوفياتى .

هذه هى الاتجاهات العامة فى هذا القطر العربى الذى عاش ثلاثة عشر قرنا مستقلا مرهوب الجانب حتى طوقته الدسائس الأجنبية فأرغم على الخضوع لإملاء ٣٠ مارس سنة ١٩١٢ أى معاهدة الحماية .

وقد كان هذا الإملاء كما يذكر القراء نتيجة حتمية لاتفاق ١٩٠٤ الذى تنازلت فيه بريطانيا العظمى عن مراكش لفرنسا فى مقابل تنازل فرنسا لبريطانيا عن مصر .

وكان الاحتلال الأجنبى سبب محنة عظمى للشعب المراكشى الذى ظل يدافع عن استقلاله بالسلاح ويعلن الثورة تلو الثورة ، سواء ضد الفرنسيين أو ضد الأسبان ، منذ إملاء ٣٠ مارس سنة ١٩١٢ إلى أواخر سنة ١٩٣٤أى طيلة اثنين وعشرين سنة كاملة لم يمر منها يوم واحد (أقول يوم واحد) لم تكن فيه الحرب معلنة فى ناحية ما من نواحى الأقليم المراكشى بجميع أهوالها وويلاتها المعروفة .

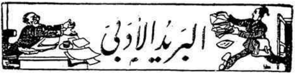
وقد ابتدأت مقاومة المراكشيين السياسة فى شكل أحزاب عصرية منظمة منذ سنة ١٩٣٠ ، فكان الفرنسيون يقابلون بالتشريد والرصاص والسجن كل طموح سياسى يظهره المراكشيون لتحسين حالتهم .

وفى ١١ يناير سنة ١٩٤٤ طرأ تغيير جوهرى على موقف المراكشيين السياسى من فرنسا وذلك بالمذكرة التى رفعها حزب الاستقلال إلى جلالة الملك وإلى اللجنة الفرنسية بالجزائر (حكومة الجنرال دى جول) والتف حولها الشعب بأكمله برغم التدابير الجهنمية التى لجأ إليها الفرنسيون لإقناع الأمة بالسكوت والاستسلام والتنازل .

ولكن الفرنسيين يضعون الشعب المراكشى ، كما قلت ، بين احتمالين لا ثالث لهما ، إما البقاء تحت نظام النهب والأرهاب والمحق التدريجى ، كما كان الحال فى الماضى؛ وإما الاندماج فى حظيرة العائلة الفرنسية ، أى الانتحار وتحدى كل إحساس طبيعى يشعر به المراكشيون فى نفوسهم .

أما المراكشيون فهم فى أعماق قلوبهم يشعرون أنهم عرب ويشعرون أن تطورهم وحضارتهم يجب أن يصبا فى قالب لغتهم العربية ، وقد عرفوا العربية واتخذوها لغتهم قبل أن يتكون الشعب الفرنسى وقبل أن توجد الفرنسية بقرون ، لذلك يعتبرون أن مستقبلهم مرتبط ارتباطاً طبيعياً بمستقبل الأمم العربية الأخرى ، مرتبط بمستقبل العرب ، من الوحدة الثقافية والعاطفية ، ولا مانع من ارتباطه بالوجهة الاقتصادية التى تمد محور السياسة اليوم ، وهم بأجمعهم ينتظرون بفارغ الصبر اليوم الذى توقع فيه حكومة مراكش المستقلة على دستور الجامعة العربية وتصبح عضواً عاملا بين بقية الأعضاء العاملين العرب ، وبذلك يصبح المراكشيون عاملا نشيطا لتثبيت السلم العالمى كما كانوا عاملا نشيطا لكسب الحرب .

والمراكشيون يريدون أن يسترجعوا استقلالهم السياسى أولا لأنه حق من حقوقهم الطبيعية ، لا يقبل أى مناقشة ، وثانياً لأنهم يرون فى الاستعمارين الفرنسى والأسبانى ، خطراً يهدد كيانهم كأمة . وقد اتخذ فى مراكش ، وبالأخص الاستعمار الفرنسى ، وسيلتين لمحو الشخصية المراكشية ، والقضاء على كيان الأمة ، فن جهة ، باتباع السياسة المعروفة بسياسة الإدماج وهى تتخلص فى الإدارة المباشرة للبلاد ، ونزع أراضى الفلاح بالقوة وتقديمها للمعمر الفرنسى ، وإحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية ، لغة البلاد الوطنية ، والاستيلاء على رؤوس الأموال ؛ ومن جهة أخرى بمقاومة نشر التعليم ، وإهمال الصحة العامة ، وخنق الحريات ، وتأسيس نظام بوليسى مرعب يحاول بجميع الوسائل الدنيئة ،



حول مذكرة السنهوري باشا :

قرأت في « الرسالة » الغراء كلمة أشارت فيها إلى ما تضمنته مذكرة السنهوري باشا التي تهدف إلى إنشاء « معهد الفقه الاسلامي للجامعة العربية » ... والفكرة جليلة قويمة ... ولكنها أهملت دعامة الفقه الإسلامي ، وحصنه الحصين ألا وهو « الأزهر » إهمالا تاماً ، ولم تشر إليه من قريب أو بعيد ! ! فقد أشارت « الرسالة » إلى المعاهد التي تقترح هذه المذكرة إنشاءها .

أولها : « معهد تدريس يمنح الشهادات والدبلومات الجامعية يلتحق به الحاصلون على ليسانس الحقوق من إحدى الجامعات العربية » ... عجباً !! أليس للأزهريين الحق في دخول هذا المعهد وهم أولى به ؟! ولماذا حرموا منه ؟ ! ... ثم ذكرت أنه ينبغي أن يلحق هذا المعهد باحدى جامعات الدول العربية ، وأفضل هذه الجامعات هي جامعة فؤاد الأول !! ... وكأن الأزهر الذي حافظ على دراسة الدين الإسلامي ألف عام وخرَّج من خرَّج من العظماء ليس أهلا لأن يلحق به هذا المعهد ، وهو الذي يجمع بين أبناء العروبة من قديم الزمن ! وقد جعلته أمم العروبة مناراً به يهتدون وكعبة إليها يحجون ! ... وإني لا أشك في أن الأزهر محتاج للتجديد كما نادى بذلك أستاذنا الجليل « الزيات » ... ولا ريب في أن الأزهر سينال حقه من التجديد والأصلاح عما قريب لما نعهد في شيخه الأكبر من حب للتجديد وإيمان بالاصلاح .

قتل الإحساس بالكرامة في نفس المراكشي لتسهيل السيطرة عليه .

وليس من شك في أن الفرنسيين ، ومثلهم الأسبانيون ، كانوا ينتظرون من وراء هذه السياسة انقراض أمة لتحل مكانها أمة أخرى ، فتصبح مراكش امتداداً لفرنسا أو لأسبانيا في قارة أفريقيا ، وهو حلم ردده الجنرال ديجول لجنرال فرنسا الجديدة ، في خطاب له وهو في طريقه إلى بلاد السوفيات ، وهو نفسه الحل الذي يقترحه (اليساريون) الأحرار في لهجة أدبية تقدمية ، معادية للاستعمار وأساليبه الرجعية الغاشمة كما يزعمون .

أما الشعب المراكشي فهو يعرف ما يريد ، وغايته واضحة لاغبار عليها ، وهو يطمح الآن لعقد معاهدتين أساسيتين ، معاهدة يحصل بها على استقلاله التام ، والأخرى يدخل بها كعضو عامل في وسط دول الجامعة العربية .

(مراكش) (خبير)

تصحيح :

طالعت ذلك البحث الفياض للأستاذ أبي القاسم بدري عن « الشاعران المتشابهان » ... وقد ذكر من شعر أبي القاسم الشابي رحمه الله هذين البيتين :

« أنت روح غبية تكره النو ر وتقضى الدهور في ليل حدس
أنت لا تدرك الحقائق إن طا فت حواليك دون حس وحس »

وصحة المصراعين الأخيرين « في ليل ملس » ، « دون مس وجس » وذكر كذلك هذا البيت :

« أيها الشعب أنت طفل صغير لاعب بالتراب والليل ينسى »

وصحة المصراع الأخير « والليل مغس » كما جاء في « الرسالة » الغراء عدد نمرة ٦٦٤ في قصيدة « ليتني ... ! » ... وأورد من شعر التجاني رحمه الله هذا البيت هكذا :

« وأنا اليوم لاحراك كأن قد شد في مكمن القوى أوثاق »

وهو من البحر الخفيف . وصحته :

« وأنا اليوم لاحراك كأن قد شد في مكمن القوى أوثاق »

وهذه ملاحظات يسيرة لا تغض من قيمة البحث الجليل .

ابراهيم عبد المجيد النزري

حول معرض الكتاب العربي :

كتب صديقي الأستاذ وديع فلسطين في « الرسالة » الغراء كلمة عن « معرض الكتاب العربي » الذي أقامته وزارة المعارف بدار الجمعية الزراعية الملكية ؛ وقد تعجبت كثيراً حينما وجدت الأستاذ يقول في أثناء حديثه :

« ورأيت كتابا آخر عنوانه « وفيات الأعيان » فضحكت كذلك ، لأن مؤلفه لم يجد ما يكتب عنه إلا أن يسرد تواريخ وفيات الأعيان ! كأن الدنيا وما فيها لا تهمه ، وكأن الاصلاح

الاجتماعي لا حاجة لنا إليه ، وكأن الكتاب فرغوا من الكتابة في جميع الموضوعات ، ولم يبق سوى الكتابة عن « وفيات الأعيان ! » اهـ .

أهذا كلام يقال ؟ . وهل يدل ذلك الحكم على أن الأستاذ فلسطين قد طالع شيئاً في كتاب الوفيات أو عرف قيمته في المكتبة العربية ؟ ...

إن كتاب « وفيات الأعيان » أيها الصديق من أمهات المراجع التاريخية التي لا يستغني عنها مؤلف أو أديب ، وهو لم يقتصر كما فهمت خطأ على ذكر وفيات المشهورين من الناس ، بل أوجز الحديث عن حياتهم وأعمالهم وصفاتهم وولادتهم ووفاتهم ، واسم الكتاب كاملا هو : « وفيات الأعيان ، وأنباء أبناء الزمان » ، وقد ألفه صاحبه شمس الدين أبو العباس أحمد ابن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان الشافعي ، وانتهى من ترتيبه بالقاهرة المحروسة سنة أربع وخمسين وستمائة هجرية . أي منذ أكثر من سبعة قرون ، وقد شرح ابن خلكان في مقدمة كتابه جانباً من غرضه فيه فقال :

« ولم أقصر هذا المختصر على طائفة مخصوصة مثل العلماء أو الملوك أو الأمراء أو الوزراء أو الشعراء ، بل كل من له شهرة بين الناس ، ويقع السؤال عنه ذكرته ، وأتيت من أحواله بما وقفت عليه من الإيجاز ، كيلا يطول الكتاب ، وأثبت وفاته ومولده إن قدرت عليه ، ورفعت نسبه على ماظفرت به ، وقيدت من الألفاظ ما لا يؤمن تصحيفه ، وذكرت من محاسن كل شخص مايليق به من مكرمة أو نادرة أو شعر أو رسالة ، ليتفكه به متأمله ، ولا يراه مقصوراً على أسلوب واحد فيمله ، والدواعي إنما تنبعث لتصفح الكتاب إذا كان مفننا » .

وتعبير ابن خلكان بأن كتابه « مختصر » فيه تواضع العلماء القدامى ، وإلا فكتابه ليس مختصراً ، بل هو موسوعة كبيرة لو طبعت على ورق حديث لبلغت آلاف الصفحات ، وقد وصف أحد الأدباء كتاب الوفيات فقال إنه « روضة يانعة الأزهار ، متدفقة الجداول والأنهار ، بل كنز بالفرائد حافل ، ولبدائع المحاسن شامل كافل ، لما حواه من تراجم أكابر الفضلاء ، وتضمنه من فكاهات الأدباء والشعراء ، مع ترتيب عجيب ، وأسلوب فائق غريب ، وضم الشوارد ، واقتناص الأوابد ، وضبط غريب مبانيه ، وتهذيب مقصده ومعانيه » .

وحياة ابن خلكان بعد هذا أيها الصديق لاتدل على أنه كان تافهاً أو ضعيف المنة ، فله من علمه وأدبه ومؤلفاته وفقهه مايرفعه إلى مصاف العظماء من الرجال ، وله فوق هذا شعر في غاية الرقة والجمال . فهو القائل في الغزل :

أنا والله هالك آيس من سلامتي
أو أرى القامة التي قد أقامت قيامتي !

وهو القائل أيضاً :

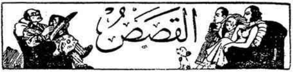
تمثلتمو لي والديار بعيـــدة فخيّل لي أن الفؤاد لكم مغنى
وناجاكموا قلبي على البعد والنوى فأوحشتمو لفظاً ، وآنستمو معنى !

لقد ظلمت « وفيات الأعيان » يا وديع وظلمت صاحب الوفيات . ورحم الله ابن خلكان إذ يقول في آخر خطبته التي قدم بها الوفيات : « حرسنا الله تعالى من التردي في مهاوي الغواية ، وجعل لنا من العرفان بأقدارنا أمنع وقاية ! » .

هذا ولقد لاحظتَ أن المعرض قد خلا من الكتب التي صدرت في الأقطار الشقيقة ، وهذا صحيح ، فقد زرتُ المعرض كما زرته ، ولاحظتُ أنا فوق ما لاحظته أنت . أن المعرض قد خلا من قسم للكتب الأزهرية ، مع أن الجامعات والمعاهد العليا ودور الطباعة والنشر قد مثلت في هذا المعرض ؛ وكم كنت أتمنى أن يطلع الناس في هـذا المعرض على نماذج من الكتب الأزهرية القديمة والحديثة ، ويرون كيف تطور التأليف الأزهري على مر العصور ، وكم كنت أتمنى أن يشاهد الناس كتب الباجوري والشرقاوي والأشموني والسيوطي والصبان والدرديري وغيرهم ، وكم كنت أتمنى أن يرى الناس في هـذا المعرض مؤلفات أو مطبوعات المراغي ومصطفى عبد الرازق والصعيدي وعرفة ومحيي الدين وعوني وعبد القادر ويوسف موسى وغلاب وماضي وقرقر وبدير والخضر وغيرهم !! ...

ليت شعري ! كيف فات الأزهر هـذا وعلى رأسه اليوم الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق خريج السوربون وصاحب المؤلفات العديدة ؟ ... لئن فات الأزهر هذا اليوم نرجو مخلصين ألا يفوتهم يوم يحتفلون بالعيد الألفي للأزهر .. ولكن متى يكون هذا الاحتفال ؟ .

أحمد الشرباصي
المدرس بالأزهر الشريف



مجنـــون . . . !

للقصصي الفرنسي جي دي موباسان

بقلم الأديب م . كمال جلبي

مات الرجل الفذ الذي اهتزت له مجالس القضاء الفرنسية قاطبة ، وانحنت لموته رءوس الحقوقيين وأعضاء مجالس الشورى انحناء احترام وخضوع لوجهه الهزيل الذي كانت تضيئه نظراته الحادة .

كان عدو اللصوص والقتلة لأنه الوحيد الذي يقرأ أفكارهم الرهيبة ويكتشف أسرار الجرائم التي ارتكبوها ، فبنظرة واحدة إلى أحدهم يعرف أسراره المدفونة .

مات الرجل في الثانية والثمانين من العمر ، فشيعت نعشه حسرات شعب كامل ؛ وسار وراءه جنود الحكومة لابسين البناطيل الحمر ؛ يتقدمهم أعاظم رجالات فرنسا ويندبه أصحاب الربطات البيضاء بدموع صادقة .

وقد وجدوا بعد موته في غرفته الخاصة التي تحوي أوراق كبار المجرمين مذكرات بعنوان « لماذا » .

٢٠ حزيران سنة ١٨٥١ :

انتهت جلسة اليوم بعد حكمي على بلوندل بالإعدام . .

لم قتل هذا الرجل أولاده الخمسة ؟ ولم تظهر علائم اللذة على هؤلاء إذا قضوا على غيرهم ؟

نعم ! نعم ! يجب أن يكون القتل لذة ، ولعلها تكون أعظم اللذات جميعها ! أليس للموت شبه عظيم بالحياة ؟

الحياة والموت ! !

كلتان تتألف منهما قصة المجتمع ، نعم المجتمع كله ؛ أي كل ما هو كامل ؟ إذاً لماذا يولع الإنسان بالقتل ؟

٢٥ حزيران :

فكر في مخلوق حي ، يسير وينظر ويضحك ... مخلوق ؟!

ما هو المخلوق ؟

هو كائن يحيا بحركة نظامية ، وبفكر ثاقب يدير تلك الحركة الكامنة فيه ، ولا يشغل هذا الكائن فراغاً لأن رجليه اللتين يسير بهما لا تتعديان وجه الأرض . إذن فهو حبة حياة متحركة لا أدري مم تكونت ! تبدو بسيطة كأحقر الأشياء وأتفهها كأن لا قيمة لها مطلقاً .

٢٦ حزيران :

لِمَ يعد القتل جريمة ؟ نعم لماذا ؟

فقانون الطبيعة لا يعاقب القاتل ، والقتل كما أرى فريضة على كل كائن : فانه يقتل طلباً لعيش رغيد ؛ يقتل لأنه عرف لذة القتل ؛ فالحيوان يقتل في كل لحظة من وجوده — والرجل لا ينقطع عن القتل ، بل يقتل ليتغذى ، ويرى في القتل ضرورة ، لذلك رأى في الصيد لذة — وقد لا يشعر الطفل بالنشوة إلا إذا خنق صغار الحشرات وصغار العصافير التي تصل إليها يده ؛ وكل هذا لا يطفىء شهوة القتل الملتهبة فيه .

لم يكفه الحيوان فعدا على رفيقه الإنسان . وقديما كانت القرابين البشرية تقدم للآلهة ، فاستعيض عنها حديثاً بالجرائم التي جعلت القتل جريمة يكافحها القانون بالإعدام أو بالسجن !

والحقيقة أننا لا بد أن نؤدي واجبنا نحو هذه الغريزة الطبيعية التي ينتج عنها الموت الوشيك . وكثيراً ما تخف غلواؤنا عند ما نرى أمم الأرض تتطاحن ، ونسمع بشعوب تذبح أخرى ، وتكون هنالك مجازر دموية تهيم بها الجيوش ؛ فترى أهالي المدن الثملين بخمرة النصر مع نسائهم وأولادهم يطالعون بانتباه على ضوء المصباح أخبار مجازرهم الفظيعة .

هل فكر أحد بأن شعوب الأرض تكره تلك المذابح التي نسميها الحروب . أبداً ! إذاً فلم نثني عليهم بشتى أنواع الثناء ، ونلبسهم الجوخ الثمين محلي بالذهب الوهاج ، ونقلدهم أوسمة يحملون

بها صدورهم ، ثم نغدق عليهم ألقاباً عظيمة فتصبح « مودة » النساء لهم مسخرة مع إرادة الشعوب عامة ، أليس ذلك لأنهم مسخرون لقتل الإنسان ؟ إذن فالقتل نظام أودعته الطبيعة سدر الإنسان ليصيب السعادة الدائمة والشرف الرفيع !

القتل هو القانون ، والطبيعة تحب الشباب الخالد ، فتحث أبناء الحياة على ترك الحياة ، وكلما أهلكت رهطاً أحيت آخر مثله .

٢ تموز :

الكائن ؟ ! ما هو الكائن ؟

هو كل شيء ، وهو لاشيء ؛ فهو انعكاس الكون . وتصغير العالم ، هو تاريخ ، وشكله مرآة لأعماله ، فكل مخلوق محيط في هذا العالم !

إرحل وابحث عن الأجيال تر الكائن لا شيء . اصعد في زورق وابعد عن الشاطئ المزدحم بالمخلوقات فلا ترى شيئاً بعد برهة ، ومن هنا نستدل على حقارة الإنسان . اقطع أوروبا بالقطار السريع وتطلع من بابه الصغير تر رجالا لا يحصون مجهولين ، يحرثون الحقول ... وبترا كصوت في الشوارع ، وفلاحين بلهاء لا يعرفون سوى فلح الأرض مع نسائهم السمجات اللاتي لا يتقن سوى طبخ الحساء لرجالهن وأولادهن .

اذهب إلى الهند ، إلى الصين ، تجد الحال هي الحال : أناس يولدون ويشقون ثم يموتون دون أن يتركوا أثر نملة .

زر بلاد الزنوج الآوين إلى بيوت من الطوب ؛ زر بلاد العرب البيض القابعين تحت خيامهم القاتمة المتموجة مع الرياح تر حقيقة المخلوق المنزل الذي نمتناه بلا شيء

والعقلاء من البدو والحضر ينظرون إلى الموت نظرهم إلى الأمر الذي لابد منه ، فلايكترثون له . والجريمة كذلك في نظر البدو الذين نشأوا وتأصلت في نفوسهم منذ نشأتهم فكرة الأخذ بالثأر كأنها شيء طبيعي . أما أهل الحضر فلا يتأثرون بهذه الجرائم وإن كانت أفكارهم لا تتعدى حدود اعتبارها أمراً طبيعياً لازماً لإطفاء شهوة القتل ، والقتل تنتقل عدواه من بيت لآخر ومن مقاطعة لأخرى .

تأمل في أشخاص العالم المجهولين !

المجهولين ؟

وصلنا أساس البحث ! ؟ .

قلنا إن القتل جريمة لأن القانون أحصى عدد المخلوقات وسجلها وأطلق عليها أسماء عديدة ، ثم قدسها رجال الدين فإذا هي في حمى القانون يدفع عنها عدوان القتلة السفاكين ؛ والمولود الذي لا يسجل لا يعترف القانون بوجوده .

الطبيعة تحب الموت ، ولا تعاقب القتلة ؛ وهي نفسها تدافع عن الإنسان الذي جعله القانون سلعة في يده يفعل به ما يشاء ، لأنه خول لنفسه الحق فيه ، فتراه بعد مئات الألوف للحرب منتظراً أن يسقط أسماءهم من سجلاته . ولكننا نحن الضعفاء لا يمكننا تبديل أي امم حتى ولو من سكان الأقضية ، بل الواجب علينا أيضاً احترام حياة الكائن ، مع احترام سلطة الحكومة المدنية التي تملك الهياكل البلدية .

قف وادع الله يا ابن الطبيعة !

٣ تموز :

في القتل غرابة ولذة مقرونتان بالسرور ؛ فاذا كان المخلوق الحي العامل تحت سلطتك وتمكنت من عمل جرح صغير واحد في جسده ووقفت ترى المادة اللزجة الحمراء تسيل أمام عينيك ثم يفقد ذلك الجسم الحياة ، فلا ترى بعدئذ سوى كتلة لحم لين ، بارد عديم الحركة التفكير .

١٥ آب :

لقد قضيت حياتي بالمحاكم ، أعدم ، وأميت ، بكلام رقيق يخرج من فمي ، وتنفذه المقصلة في الذين أماتوا بحد السكين ، أنا ! أنا ! ما ذا يكون مصيري إذا أصبحت كأحد هؤلاء القتلة ! ؟ من يدري ؟

١٥ آب :

من يدري ؟ لا أحد !

أيفكر امرؤ بأني قاتل ولا سيما إذا انتقيت كائناً لا فائدة تعود عليّ من حذفه ؟

١٧ آب :

الشهوة ، الشهوة ، نعم ، تملكتنى شهوة القتل كالدودة حابية فى جسمى وفى عقلى ، إنى متعطش إلى رؤية الدم ومجابهة الموت ، حيث تسمع أذناى صوتاً فظيعاً يناديني ، ويذكرنى بآخر صرخة تخرج من المحتضر . لعل فى القتل لذة ، وخصوصاً إذا كانت الضحية كائناً مطلق الحرية واسمها يملك قلبه الهادئ الرزين بنفسه .

٢٢ آب :

لا يمكننى الصبر ، قتلت حيواناً إطاعة لتلك النزعة الحمقاء التى تغالبنى .

لخادمى « جان » عصفور فى قفص ثمين ومعلق بنافذة الدار ، وقد أرسلت خادمى ذات يوم لقضاء حاجة ، وبعد أن ذهب أخذت العصفور الصغير فى يدى فشعرت بجسمه الحار ، وبنبضات قلبه المتفاوتة ، ثم صعدت به إلى غرفتى ، وأخذت أضغط عليه شيئاً فشيئاً إلى أن أحسست بدقات فؤاده السريعة . لقد كان المنظر وحشياً مع فظاعته . كدت أخنقه . ولكن لا فائدة لأنى لن أرى دمه يسيل ، فأخذت المقص وجعلت رقبته ثلاث قطع ؛ ففغر المسكين فاه ، وأراد التخلص بكل ما أوتى من قوة ، ولكن أنى له ذلك ويداى كالحديد تطوقان عنقه ؟ لقد كان عملى يستدعى الدقة والانتباه ، فكنت أعمل بتؤدة ! !

الدم ! ... الدم ! ... ما أجمله !!

أحمر قانٍ ، صاف ! لقد أردت أن أخضب به لسانى ، وفعلا كان ذلك ! إن هذه الكمية القليلة لا تبعث النشوة ، لكنها لذيذة ! ضاق نطاق الوقت للتمتع بهذا المنظر ؛ فقد حان حضور خادمى .

آه ! لو كان بدل هذا العصفور ثور لكان أبهى وألذ .

يالى من شقى ! لأنى أصبحت كالقتلة : غسلت المقص بيدىّ ، وحملت الجثة الهامدة إلى مثوى أعددته لها فى الحديقة ، ودفنتها تحت شجرة « فريز » .

لا يمكن لأحد معرفة هذا المكان ، وسآكل كل يوم حبة من هذه الشجرة الحمراء .

بكى خادمى عصفوره كثيراً بعد عودته ، وظن أنه طار من قفصه . أيمكنه اتهامى ! ؟ لا ... لا ... ! !

٢٥ آب :

الأمر بسيط : ذهبت للنزهة مرة فى غابة «فيرن» لا أفكر فى شىء مطلقاً ، وإذا ولد صغير يأكل خبزاً عليه قليل من الزبدة على قارعة الطريق . وقف ليرانى ماراً بجانبه ، وعندما اقتربت منه حيانى قائلا :

— نهارك سعيد ، يا سيدى الرئيس .

وهناك ... طرأت علىّ فكرة « قتله » فرددت عليه :

— أنت وحدك هنا يا ولدى ؟

— نعم يا سيدى الرئيس .

— ألا يصحبك أحد من أقاربك أو أصدقائك فى هذه الغابة العظيمة المقفرة ؟

— أبداً يا سيدى الرئيس .

لقد عصفت فى رأسى شهوة القتل وأثرت فى نفسى كما تفعل الخمرة برأس شاربها .

اقتربت منه ببطء خوفاً من أن يفر كما كان يخيّل إلىّ . ضغطت على عنقه بعنف ، فنظر إلىّ بعينين تحاكيان البحر عمقاً والسماء صفاء و ... لم أشعر طول عمرى بمثل هذا الإحساس الغريب الذى سيطر علىّ . لقد أمسكت يديه الصغيرتين بساعدىّ القويتين المفتولتين ، بينما كان جسمه يتطاير فى الهواء كما تتطاير ريشة الطير على سفود . ثم همدت حركته ، ووقفت أنفاسه .

وهنالك أحسست بتواثب دقات قلبى العنيفة ؛ مسكين ذلك الصغير ، لقد رميت جثته فى حفرة وغطيتها ببعض الحشائش ثم عدت .

تناولت غدائى هادىء الأعصاب كأنى لم آت شيئاً ! لقد شعرت بخفة نفسى التى عادت فجددت شبابها الأول ، وقضيت سهرة الليلة عند مدير الناحية . إنهم وجدونى سريع النكتة ، خفيف الروح ، فى تلك الليلة ، ولكنى لم أر الدم ، لذلك لم أك مطمئناً تمام الاطمئنان .

٣٠ آب :

عثروا على الجثة ، والسعى جار لمعرفة القاتل ؛ أنا مطمئن فلن يرفع الستار عن المجرم .

أول أيلول:

أوقف قاضي التحقيق رجلين من عابرى السبيل كانا يجوبان تلك الناحية ، وقد أخلى سبيلهما لأن الأدلة غير كافية لأدانتهما.

٢ أيلول :

بكى أهل الطفل أمامى متضرعين ! ! ألا ما أعذب قولهم !

٦ تشرين أول:

إن شهوة القتل تمتلكني وهى متأصلة فى عروقى ، تجرى مع دمى ، وهذا ما يدفعنى إلى القتل كابن العشرين عند ما يتيمه الحب

٢٠ تشرين أول :

جريمة أخرى :

ذهبت بعد الغداء ناحية النهر أريض ، وهناك رأيت صياداً نائماً تحت شجرة حور ، وكان الوقت ظهراً . تطلعت حولى فاذا بمعول فى أرض مجاورة مزروعة بطاطس ، فأخذت المعول ، ثم عدت أدراجى إلى الصياد ، فرفعته بين يدى كالمراوة وضربته ضربة واحدة بحد ذلك المعول قطعت رأسه . تدفق الدم الوردى الخداع بغزارة ، وانحدر إلى ماء النهر الجارى !

عدت أدراجى بخطوات مريبة ، آه ، ... ! لو شاهدونى لعرفوا فىّ قاتلا وحشياً مريعاً .

٢٥ تشرين أول :

أحدث مقتل الصياد ضجة عظيمة بين الأهلين وفى الدوائر ؛ واتهم فى ذلك ابن أخى المقتول لأنه كان يصطاد معه .

٢٦ تشرين أول :

رأى قاضي التحقيق أن ابن الأخ مجرم وكل من فى البلدة يعتقد ذلك ، مسكين ذلك الحمل ! ! ؟

٢٧ تشرين أول :

دافع الصبى عن نفسه دفاعا ضعيفاً ، لقد حلف أيماناً مغلظة بأن عمه قتل أثناء غيابه ، وهو فى البلد يشترى خبزاً وجبناً .

ولكن من يصدقه؟

١٥ تشرين الثانى :

بالموت ! بالموت ! بالموت !

حكمت على الطفل البرىء ! وقد أحسن المدعى العام فكان ينطق كالملاك ، وذكر الأسباب التى دعت إلى إدانة الطفل ، وهو أنه وريث عمه الوحيد .

لقد رأست جميع جلسات محاكمته وسأذهب لأرى مصرعه .

١٨ آذار سنة ١٨٥٢ :

انتهى كل شيء هـــذا الصباح . مات الطفل بسرور وبشجاعة مما زاد فى ابتهاجى ! ما أروع رأسه المتطاير ، وما ألذ دمه المتدفق كالسيل ! نعم كالسيل ! آه لو مكنونى من الاستحمام فيه والاستلقاء عليه حيث أشعر بسريانه فى شعرى وعلى وجهى ، وأقوم بعدها مصبوغاً بالأحمر القانى .

ما أفظع الحقيقة لو عرفوها !

والآن أستطيع أن أنتظر وأن أسهر الليالى لا يثير دهشتى أحد ، ولا يعكر صفوى معكر ...

... ...

لم تنته المذكرات بعد . وهى تحوى عدة صفحات أخرى بدون جريمة جديدة . وأقر الأطباء الذين كلفوا بدرس المذكرات بأن هذا الضرب من المرض العقلى هو أقل أثر لما نفكر فى عصرنا المادى الذى زاد فيه السقوط الأخلاق والجنون العصبى

(حلب) م . كمال حلبى